شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٢)

عمرو بن الحمق ـ الخُزاعيُّ الآخر

محمد سليمان

ملخّص البحث:

يُعدُّ الفساد سلوكاً منحرفاً عن المبادئ العقديّة والقيم الأخلاقيّة ؛ يُصاب به الفرد، والجماعة، والأمّة ، ويترك آثاراً مدمرة على البلاد والعباد ، خاصةً إذا ابتليت به مفاصل القرار في الدولة ومؤسساتها ، وتبنته رموز وشخصيات بيدها السلطة والحكم ، فيتحول إلى ظاهرة وثقافة في الساحة ، تُطيح لا فقط بكلّ منجز، وتعبث بكلّ مرفق ، بل تقوّض مقومات الحياة، حين تهلك الحرث والنسل ، وتساهم في تشويه معالم الدين الحنيف ، وتُسيء إلى رموزه ومعتنقيه...!

ومن الغريب أنَّ هذا الداء أُصيبت به الساحة المسلمة في العصر الإسلامي الأول ؛ بعد عصر النبوَّة بقليل، في مرحلة الخلافة الراشدة الثالثة وبالذات بين أمرائها، على مسمع ومرأى الجيل الأول من المهاجرين والأنصار ، وهم للتو قد أسلموا وآمنوا وجاهدوا ، وحظوا بصحبة الرسول ﷺ ونالوا قسطاً عظيماً من مبادئ الإسلام وقيمه الروحية والأخلاقية، فما

أسرع أن دبَّ الفساد في ساحتهم ، حتى صار شيئاً واضحاً محسوساً ، له رجال يدافعون عنه، ويستبسلون في منع وردِّ كلّ من يتصدى لهذا المنكر، حتى قامت ثورة كبرى على رأسها عدد من الصحابة والتابعين ؛ لعزل الخليفة الثالث ، الذي أقلّ ما يقال عن خلافته أنها تراخت في معالجة ظاهرة الثراء الفاحش ، وأمراء السوء وتجاوزاتهم .. وخوفاً من أن تسترخي الأمّة هذه الحالة وتعتادها وتألفها من غير قلق ولا معاناة ؛ فتردى ...

المقدمة :

وحتى نعرف الدور الذي قام به كثير من الصحابة ومنهم الصحابي عمرو بن الحمق، عنوان مقالتنا هذه، وكذلك مالك الأشتر عنوان مقالتنا في العدد القادم، في الثورة على الخليفة عثمان بن عفان، تلك الثورة التي تعدُّ الأولى في العصر الإسلامي الأول، لا بدَّ لنا من عودة ولو سريعة ومختصرة لما كُتب عن الخلافة الثالثة وإمارة الشام، وتداعيات سياسة كلّ منها على الساحة بما خلقته من مظالم وتجاوزات أدّت لا فقط إلى مواقف مختلفة وأحداث مضطربة، بل إلى تنازع وقتال كلّفا الأُمّة الكثير من الضحايا...

فلقد مرَّ على الأُمّة حكمٌ سياسيّ خطير، خلّف واقعاً اجتماعيًّا مريراً، ترك آثاره السيئة على مجمل تاريخها، ولا أبالغ إن قلتُ غيّر مجرى التاريخ الإسلامي، فأوجد مرحلةً مهّدت للعظيم من الأخطار، التي أنّت منها الأجيال وما زالت، ذلك هو الخلافة الثالثة بالأخصِّ، وبسياستها وإدارتها غير الحكيمة، التي تركت إرثاً ألقى بثقله، وانعكس بسيّآته حتى على الواقع الاجتماعي والسياسي في عهد الخلافة الرابعة للإمام عليٍّ عليه السلام، فأوجد لها وللصالحين فيها وقبلها وبعدها متاعبَ جمّةً وأذًى وآلاماً، ومشاكلَ خطيرةً أبشعها حرب صفين، فضلاً عما سببه ذلك الإرث من تجاوز على مبادئ الدين الحنيف وأحكامه ومفاهيمه ومنظومته الأخلاقية في الحكم والعطاء..

وقد كان من سياسة الخلافة الثالثة توسعتها على معاوية حتى منحته حكماً وسلطةً

مطلقـةً، فجعلـت منـه سـلطاناً باسـطاً ذراعيـه ببـلاد إسـلاميّة واسـعة، ومسـتحوذاً على ثـروات عظيمـة، وصـدق إذ قال لعثـمان: «... وأنـت قد ملكتنـا رقاب النـاس، وجعلتنا أوتـاداً في الأرض..»! وبـدل أن يشـكر الله تعـالى، ويحافـظ عـلى مبـادئ الإسـلام، ويقيم موازيـن العـدل، ويُحسـن للرعيـة..، راح بذلك يبنـي منهجاً آخـر مغايراً لروح الإسـلام وأحكامـه وأخلاقـه؛ لتوطيـد سـيطرته، وتشـييد ملكـه، الـذي أرسـى أركانـه؛ ليكـون ملـكاً عضوضـاً، حتـى وإن قـام على سـحق مبـادئ الديـن، وتجهيـل النـاس، والكيد لمن يأمـره بالمعـروف وينهـاه عـن المنكـر والبغي والفسـاد، فصـار يشـتري الذمم، لبنـاء دنياه وسـلطانه، ويُغـري بأمـوال الشـام الكثيرة التـي بين يديه نفوسـاً هنا وهناك عـلى ما صرّح هـو به:

والله لأسـتميلنَّ بالأمـوال ثقـاتِ عـليٍّ، ولأقسـمنَّ فيهـم المالَ حتـى تغلب دنيـايَ آخرتَه

وإلاّ عمـل بأسـاليب أخـرى؛ منهـا كيـده الجائـر لمعارضيـه حتـى صـار (إنَّ لله جنوداً مـن عسـل) وهـي طريقـة قتـل هادئـة لا أثـراً تـترك ولا ضجيجـاً يُقـال؛ لافتـةً أطلقهـا هـو وصاحبـه عمـرو بـن العاص تخلّصـاً منهـم، وإنهاءً لـكلِّ مـن يأبى الانصيـاع لحكمه وإرادتـه! يقـول العقّـاد: فـكان شـعار معاويـة وأشـياعه: (إنَّ لله جنـوداً من العسـل) هو يعنـي الـذي يُـداف بالسـم؛ ليُخـلي طريـق النجـاح مـن كلِّ معـترض فيـه ولـو كان مـن الأصدقـاء، فكثـرت روايـات المؤرخـين عن مقتل الحسـن بـن عليٍّ عليه السلام والأشـتر النخعي بهـؤلاء الجنـود ...! وقد صار عمله هذا سـنّةً سـيئةً اتّبعهـا بعده خلفاءُ الجـور قتلاً للأئمة الطاهريـن وإقصـاءً لهم، وتشـفيًّا وتنكيـلاً بالصالحـين وتخويفاً لآخريـن ...!

وليـس هـذا غريبـاً عليـه ..، حقًّـا ﴿وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْـرُجُ إِلَّا نَكِـدًا﴾! فهـو ابـن بني أُميّـة وتاريخهـا، الذيـن لم تطهـر نفوسـهم، ولم يخبـو حقدهم، وسـوء سريرتهـم، وإن أُعلِنـوا إسـلامهم قهـراً يـوم فتح مكـة في العشرين من شـهر رمضـان في العـام الثامن من

الهجـرة النبويـة الشريفـة، فهم فئة تُعـدُّ أقل الطلقـاء فضلاً ومنزلـةً ... فمعاويـة في المرتبة الدنيـا من الطلقـاء...[1]

هكـذا وباختصـار كان منهج معاويـة وآلياته وأهدافـه، مدلل خلافة عثـمان بن عفان، والمؤيَّـد مـن قبلهـا، وبـه تضخّمـت مخالفـات عثـمان وبطانتـه، ودبَّ الفسـاد في مفاصـل الدولـة، فصـارت مرتعـاً للفاسـدين وذوي المصالـح، حتـى أنكرها الكثير مـن الصحابة والتابعـين؛ وعـلى رأسـهم الصحـابي الجليـل أبـو ذرٍّ الغفـاري، و الصحـابي عمـرو بـن الحمـق، وكـذا مالـك الأشـتر، وهما مـن كبار رجـال الثـورة على الثـراء بغير حـقٍّ، وعلى الفسـاد والانحـراف في الخلافـة الثالثـة..، وقـد اخترتُهـما؛ لتداخـل دوريهما في الثـورة؛ في مقالتـين متتاليتـين في هذه المجلـة، وارتأيتُ لهـما هذه المقدمـة الموجزة، بما تحملـه من قراءة دقيقـة، أو اسـتعراض سريـع لتلـك المرحلـة التأريخيّـة، بـما تضمنتـه مـن منهجَـي الحكم والمـال، وقـد أفسـدت سياسـة كلّ منهما كثـيراً مـن النفـوس، وأطاحت بكثير مـن القيم، بعدمـا شـهدت السـاحة في العـصر النبوي للرسـالة فـترةً فريدةً رائعـةً في حياة الإسـلام والمسلمين...

وحتـى نجمـل الحديـث عـمّا وقع، وقـد كتب عنـه الكثير بأقـلام عديدة، تعالـوا معي لنقـرأ سـويّةً مختـصراً لمـا كتبه سـيد قطب عـن تلك المرحلـة الخطـيرة في تاريخنا، بشـقّيها: خلافـة عثمان وسـلطان بني أُميّـة المتمثل بمعاوية بن أبي سـفيان في الشـام، وأنَّ ما قاما به، أقـلّ ما يُقـال عنه أنه غير صائـب وغير حكيم، بـل والبعيد عن روح الإسـلام وتشريعاته وأخلاقياته، وأنهما سـبب ما أصاب السـاحة المسـلمة مـن اضطراب وفسـاد ودمار، حتى قامـت ثورة كـبرى للإصلاح ضمّـت كثيراً مـن الصحابـة والتابعين، دون أن يغفل سـيد قطـب عـن دور الإمام عـلـيٍّ عليه السلام في حفظ السـاحة المسـلمة والخلافة بمواقفـه ونصائحه..

١ . انظـر وقعـة صفـين لنـصر بـن مزاحـم : ٤٩٦ . وشرح نهـج البلاغـة، للمعتـزلي ابـن أبي الحديـد ٢ : ٢٩٣؛ وعنهـما كتـاب الغديـر للشـيخ الأمينـي : ٤٢؛ وكتـاب (أبو الشـهداء ؛ الحسـين بن عليّ) لعبـاس محمـود العقّـاد : ١٤؛ كتـاب الصحبـة والصحابـة، لحسـن بـن فرحـان المالكـي : ١٩١ .

وعـن خلافته ومنهج الحقّ والعدل والمسـاواة في إدارة سياسـة الحكم وسياسـة المال، وعما لاقـاه من مناوئيه أذًى وشـقاقاً ونزاعـاً وخداعاً...

جـاء كلُّ هـذا في كتابيه (العدالة الاجتماعيّة في الإسـلام) و (كتب وشـخصيات) حتى أنـه وبسـبب نظراتـه لتلـك الحقبـة في كتابيه المذكوريـن، وقد انتـصر للإمام عـليٍّ عليه السلام ضدَّ مناوئيـه معاويـة ومـن معه، وصفـوه بالانحراف وبالتشـيع، وهو ديدنهـم في كلّ من يحقق في التاريـخ، ويضـع يـده بإخلاص عـلى أحداثـه، وينصف أهـل البيـت عليهم السلام والصالحين، فجـاء ردُّه عليهـم واضحـاً في كتابه (كتب وشـخصيات) قائلاً:

وبعـد، فلسـتُ «شـيعياً» لأقـرر هـذا الذي أقـول، إنما أنـا أنظر إلى المسـألة مـن جانبها الروحـي الخلقـي، ولن يحتاج الإنسـان أن يكـون شـيعياً؛ لينتصر للخُلـق الفاضل المترفع عـن «الوصوليـة» الهابطـة المتدنيـة، ولينتصر لعليٍّ عـلى معاوية وعمـرو، إنما ذلـك انتصار للترفع والنظافة والاسـتقامة.[1]

فبعـد أن تحـدث سـيد قطـب عـن سياسـة الحكـم وعـما انبثـق عنها مـن سياسـة المال خلال السـنوات العـشر الأولى للهجرة النبوية؛ المباركة برسـول الله صلى الله عليه وآله مـروراً بالخلافتين الأولى والثانيـة، تحـدث عـن خلافة عثـمان، مُبيّناً دورهـا في بناء نظام حكم سـياسي ومالي مُغايـر لمـا سـبقه، تـرك آثاره السـلبية عـلى مجمل السـاحة؛ فـكان هناك تجـاوز وثـراء بغير حـقٍّ، وضيـاع للحقـوق والواجبات..، وعـن دورها الخطـير في تثبيت إمـارة معاوية على الشـام وتوسـعة نفـوذه، وبالتـالي ابتعـاده عـن الإسـلام ومبادئـه في الحكم والمـال وحتى في العقائـد، وفيـما آلـت إليـه هـذه السياسـة من أمـور وأحـداث كلّفـت الأمّـة الكثير من الأضرار والضحايـا.. وكانـت سـبباً فيما وقـع في المدينة من احتجاجات بـل وثورة لإعادة الدولـة ومفاصلهـا للإسـلام ومنظومته التشريعيـة والأخلاقية بعيداً عن الظلـم والتعالي،

١ . انظـر كتب وشـخصيات، سـيد قطـب: ٢٣٠ ـ ٢٤٤، الطبعة الثالثـة، ١٩٨٣م، ردوده على (العناصر النفسـية في سياسـة العرب لشفيق جبري).

ورفضاً لاستئثار وتعسف بني عمومة عثمان وحاشيته ومقربيه...

سياسة الحكم وسياسة المال:

فما قاله سيد قطب: .. فأما سياسة الحكم وسياسة المال من الوجهة الرسمية في الدولة، فقد شهد الواقع التاريخي عنهما فترة فريدة في حياة الإسلام، ولم تعمر طويلاً مع الأسف الشديد. وسنرى فيما بعد علّة هذا، لنرى إن كانت العلّة كامنة في طبيعة النظام الإسلامي في هاتين الناحيتين كما يزعم الزاعمون أم إنها الملابسات الأخرى التي لا علاقة لها بطبيعة هذا النظام.

ولنبدأ بالحديث عن سياسة الحكم، إذ كانت سياسة المال في الواقع التاريخي تبعاً لها، وفرعاً عن تصورها... وبعد استعراض سريع لآلية وسياسة الحكم، والتي تكشف عن قاعدة الإسلام الأصيلة في الحكم كما يقول، وصل إلى التالي:

فلما جاء الأمويون، وصارت الخلافة الإسلامية ملكاً عضوضاً في بني أمية، لم يكن ذلك من وحي الإسلام، إنما كان من وحي الجاهلية الذي أطفأ إشراقة الروح الإسلامي. ويكفي أن نُثْبت هنا بعض الروايات عن الملابسات التي صاحبت البيعة ليزيد بن معاوية:

كان معاوية بعد أخذ البيعة ليزيد في الشام قد كلف سعيد بن العاص أن يحتال لإقناع أهل الحجاز، فعجز، فسار معاوية إلى مكة ومعه الجند والمال. ودعا وجهاء المسلمين، فقال لهم: قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم؛ يزيد أخوكم وابن عمكم، وأردت أن تقدموا يزيد باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه. فأجابه عبد الله بن الزبير مخيراً بين أن يصنع كما صنع رسول الله ﷺ إذ لم يستخلف أحداً، أو كما صنع أبو بكر إذ عهد إلى رجل ليس من بني أبيه، أو كما صنع عمر إذ جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه.

فاستشاط معاوية غضباً وهو يقول: هل عندك غير هذا؟ قال: لا. والتفت معاوية

إلى الآخرين يسألهم: فأنتم؟ قالوا على ما قال ابن الزبير. فقال يتوعدهم: أعذر من أنذر. إني كنت أخطب فيكم فيقوم إليّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح. وإني قائم بمقالة، فاقسم بالله لئن ردَّ عليَّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه؛ فلا يبقين رجل إلاّ على نفسه!

فأما الذي كان بعد ذلك، فهو أن أقام صاحب حرس معاوية رجلين على رأس كلّ وجيه من وجهاء الحجاز المعارضين، وقد قال له معاوية: إن ذهب رجل منهم يرد عليَّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. ثم رقي المنبر فقال: هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يبرم أمر دونهم ولا يقضي إلاّ على مشورتهم. وإنهم قد رضوا وبايعوا يزيد، فبايعوه على اسم الله.

فبايع الناس !!![1]

ونحن لا نحب أن نجزم بصدق مثل هذه الرواية، ولكن تبرئة للإسلام في ذاته نقول: إنها إن صحت كان هذا مخالفة أساسية لطبيعة المنهج الإسلامي في الحكم لا تبررها حجّة، ولا يقوم لها عذر!

على هذا الأساس الذي لا يعترف به الإسلام البتة، قام ملك يزيد. فمن هو يزيد؟

هو الذي يقول فيه عبد الله بن حنظلة: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء. إنَّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر، ويدع الصلاة. والله لو لم يكن معي أحد من الناس؛ لأبليت الله فيه بلاء حسناً.[2]

فإذا كانت هذه مقالة خصم ليزيد، فإنَّ تصرفات يزيد العملية الواقعية فيما بعد، من قتل الحسين عليه السلام على ذلك النحو الشنيع، إلى حصار البيت ورميه... إلخ تشهد

١ . انظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير في حوادث سنة ٥٦هـ.

٢ . انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (ت ٥٩٧)ـ٦ : ١٩ مع الهامش، رقم ٤٢٣ عبد الله بن حنظلة الغسيل. وغيره من المصادر.

بـأن خصـوم يزيـد لم يبالغـوا كثـيراً فيـما قالوه! وأياً مـا كان الأمر، فـإنَّ أحـداً لا يجرؤ على الزعـم بـأنَّ يزيـد كان أصلـح المسـلمين للخلافة وفيهـم الصحابـة والتابعـون. إنما كانت مسـألة وراثـة الملـك في البيت الأمـوي. وكان هـذا الاتجاه طعنـة نافذة في قلب الإسـلام، ونظام الإسـلام، واتجاه الإسـلام.

وفي سـبيل تبرئـة الإسـلام: روحـه ومبادئـه، مـن ذلـك النظـام الوراثـي الذي ابتـدع ابتداعـاً في الإسـلام، نقـرر هذه الحقائق؛ لتكـون واضحة في تصور الحكم الإسـلامي على حقيقتـه. ولكـي ندرك عمق هـذه الحقيقة، يجـب أن نسـتعرض صوراً من سياسـة الحكم في العهـود المختلفـة عـلى أيـدي أبي بكـر وعمر. وعـلى أيدي عثـمان ومـروان. وعلى يدي عـليّ الإمـام. ثـم على يـدي الملوك مـن أمية. ومَـن بعدهم من بنـي العباس بعد هـذه الهزة المبكـرة في تاريخ الإسـلام...

الخلافـة الثالثـة: وبعـد أن راح سـيد قطـب في اسـتعراضه لتلـك الصـور من سياسـة الحكـم، وقـد وصـل فيـه إلى الخلافـة الثالثـة، قـال: هـذا التصور لحقيقـة الحكم قـد تغير شـيئاً مـا دون شـك عـلى عهد عثـمان ـ وإن بقى في سـياج الإسـلام ـ لقد أدركـت الخلافة عثـمان وهو شـيخ كبـير. ومن ورائه مـروان بن الحكم يـصرف الأمر بكثير مـن الانحراف عـن الإسـلام. كـما أن طبيعة عثـمان الرخية، وحدبه الشـديد عـلى أهله، قد سـاهم كلاهما في صـدور تصرفـات أنكرهـا الكثـيرون مـن الصحابـة مـن حوله، وكانـت لهـا معقبات كثـيرة، وآثـار في الفتنـة التي عانى الإسـلام منهـا كثيراً.

منـح عثـمان مـن بيـت المـال زوج ابنتـه الحـارث بـن الحكـم يـوم عرسـه مائتـي ألف درهـم. فلـما أصبح الصبـاح جاءه زيـد بن أرقم خـازن مال المسـلمين، وقد بـدا في وجهه الحـزن وترقرقـت في عينـه الدمـوع، فسـأله أن يعفيـه مـن عملـه؛ ولمـا علـم منه السـبب وعـرف أنـه عطيتـه لصهـره مـن مـال المسـلمين، قـال مسـتغرباً: أتبكـي يـا ابن أرقـم أن وصلـت رحمي؟! فـردَّ الرجل الذي يستشـعر روح الإسـلام المرهف: لا يا أمـير المؤمنين. ولكـن أبكـي لأني أظنـك أخذت هـذا المال عوضاً عـما كنت أنفقتـه في سـبيل الله في حياة

رسـول الله ﷺ، والله لـو اعطيتـه مئة درهـم لكان كثـيراً! فغضب عثمان عـلى الرجل الذي لا يطيـق ضمـيره هذه التوسـعة من مال المسـلمين على أقـارب خليفة المسـلمين، وقال له:

ألق بالمفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك!

والأمثلـة كثيرة في سـيرة عثمان على هذه التوسـعات؛ فقـد منح الزبير ذات يوم سـتمائة ألـف، ومنـح طلحة مائتي ألـف، ونفّل مروان بـن الحكم خمس خـراج إفريقية.

ولقد عاتبه في ذلك ناس من الصحابة على رأسهم علي بن أبي طالب، فأجاب:

إنَّ لي قرابةً ورحماً فأنكروا عليه وسألوه: فما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟

فقـال: إنَّ أبـا بكر وعمر كانا يحتسـبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسـب في إعطاء قرابتي! فقامـوا عنه غاضبـين يقولون: فهديهما والله أحـبُّ إلينا من هديك..

وغـير المـال كانت الولايـات تغدق على الـولاة من قرابة عثـمان. وفيهـم معاوية الذي وسـع عليـه في الملك فضمَّ إليه فلسـطين وحمـص؛ وجمع له قيـادة الأجنـاد الأربعة، ومهد لـه بعـد ذلـك أن يطلب الملـك في خلافـة عـليّ، وقد جمع المـال والأجنـاد. وفيهـم الحكم بـن العـاص طريد رسـول الله ﷺ، الـذي آواه عثمان، وجعـل ابنه مروان بـن الحكم وزيره المتـصرف. وفيهـم عبد الله بن سـعد بن أبي الـسرح أخوه مـن الرضاعة...

وهنـا يذكـر سـيد قطـب حركـة النـاس في ثورتهـم: ولقـد كان الصحابـة يـرون هذه التصرفـات الخطيرة العواقب، فيتداعـون إلى المدينة لإنقاذ تقاليد الإسـلام، وإنقاذ الخليفة مـن المحنـة؛ والخليفـة في كبرته لا يملـك أمره من مـروان. وإنه لمن الصعـب أن نتهم روح الإسـلام في نفـس عثـمان؛ ولكن مـن الصعب كذلـك أن نعفيه مـن الخطإ، الـذي نلتمس أسـبابه في ولايـة مـروان الـوزارة؛ في كـبرة عثـمان. ولقـد اجتمع النـاس، فكلفـوا عليّ بن أبي طالـب أن يدخـل إلى عثـمان فيكلمـه، فدخـل إليه فقـال: النـاس ورائي وقـد كلموني فيـك. والله مـا أدري مـا أقـول لك، وما أعرف شـيئاً تجهلـه، ولا أدلك على أمـر لا تعرفه. إنـك لتعلـم مـا نعلم؛ مـا سـبقناك إلى شيء فنخـبرك عنه؛ ولا خلونـا بـشيء فنبلغكه؛ وما

خُصصنا بأمر دونك. وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره. وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحقِّ منك؛ ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك؛ وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً؛ ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا؛ ولا سبقاك إلى شيء. فالله الله في نفسك؛ فإنك والله ما تُبَصَّرُ من عمى؛ ولا تُعَلمُ من جهل؛ وإن الطريق لواضح بيّن؛ وإن أعلام الدين لقائمة. وتعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي و هَدى؛ فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة متروكة؛ فو الله إن كلا لَبيَّن؛ وإن السنن لقائمة لها أعلام؛ وإن شرَّ الناس عند الله إمام جائر ضَلَّ وضُل به ؛ فأمات سنة معلومة، وأحيا بدعة متروكة. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم... فقال عثمان: قد والله علمت ليقولن الذي قلتَ. أما والله لو كنت مكاني ما عنَّفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك؛ وما جئت منكراً أن وصلت رحماً، وسددت خلة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولّي. أنشدك الله يا عليّ، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم. قال: أتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم. قال: فلِمَ تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ قال عليٌّ: سأخبرك. إنَّ عمر كان كل من ولّى فإنما يطأ على صماخه، إن بلغه عنه حرف جلبه، ثم بلغ به أقصى الغاية. وأنت لا تفعل. ضعفتَ ورفقتَ على أقربائك. قال عثمان: وأقرباؤك أيضاً! قال عليٌّ: لعمري إن رحمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم.

قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها؟ فقد ولّيته. فقال عليٌّ: أنشدك الله! هل تعلم أنَّ معاوية كان أخوف من عمر، من يرفأ غلام عمر منه؟ قال: نعم. قال عليٌّ: فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت لا تعلمها، فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك ولا تُغير على معاوية! ...[1]

١ . ذكره الطبري فيما يرويه في سنة أربع وثلاثين هجرية .

وأخيراً ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحقُّ بالباطل، والخير بالشرّ. ولكن لابدّ لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام؛... واعتذارنا لعثمان: أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة، فكانت العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين، فكان موقفه كما وصفه صاحبه عليُّ بن أبي طالب:

إني إن قعدتُ في بيتي، قال: تركتني وقرابتي وحقّي؛ وإن تكلمتُ فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار سيقةً له يسوقه حيث شاء، بعد كبر السن وصحبته لرسول الله ﷺ.[1]

ولقد كان من جراء مباكرة الدين الناشيء بالتمكين منه للعصبة الأموية على يدي الخليفة الثالث في كبرته، أن تقاليده العملية لم تتأصل على أسس من تعاليمه النظرية لفترة أطول. وقد نشأ عن عهد عثمان الطويل في الخلافة أن تنمو السلطة الأموية، ويستفحل أمرها في الشام وفي غير الشام؛ وأن تتضخم الثروات نتيجة لسياسة عثمان (كما سيجيء) وأن تخلخل الثورة على عثمان بناء الأمة الإسلامية في وقت مبكر شديد التبكير.

ومع كلّ ما يحمله تاريخ هذه الفترة وأحداثها من أمجاد لهذا الدين، تكشف عن نقلة بعيدة جدًّا في تصور الناس للحياة والحكم، وحقوق الأمراء وحقوق الرعية، إلاّ أن الفتنة التي وقعت لا يمكن التقليل من خطرها وآثارها البعيدة المدى.

ثمَّ يقول سيد قطب: مضى عثمان إلى رحمة ربّه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض، وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام، من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع، مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام. وليس بالقليل ما يشيع في

١. انظر تاريخ الطبري ٢ : ٦٤٥ سنة ٣٤، و٦٦٠ سنة ٣٥.

نفس الرعية ـ إن حقاً أو باطلاً ـ أن الخليفة يؤثر أهله، ويمنحهم مئات الألوف؛ ويعزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ليولي أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ويبعد مثل أبي ذرٍّ؛ لأنه أنكر كنز الأموال، وأنكر الترف الذي يحب فيه الأثرياء، ودعا إلى مثل ما كان يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وآله من الإنفاق والبر والتعفف.. فإن النتيجة الطبيعية لشيوع مثل هذه الأفكار؛ إن حقاً وإن باطلاً، أن تثور نفوس، وأن تنحل نفوس. تثور نفوس الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثماً؛ وتنحل نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار. وهذا كله قد كان في أواخر عهد عثمان.

وعن خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام، يقول:

فلما أن جاء عليٌّ عليه السلام لم يكن من اليسير أن يرد الأمر إلى نصابه في هوادة. وقد علم المستنفعون على عهد عثمان، وبخاصة من أمية، أنَّ عليًّا لن يسكت عليهم، فانحازوا بطبيعتهم وبمصالحهم إلى معاوية. جاء عليٌّ؛ ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكام ونفوس الناس. جاء ليأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها، ويختم على جراب الشعير، ويقول:

لا أحبُّ أن يدخل بطني إلاّ ما أعلم.

وربما باع سيفه؛ ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وكره أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة مؤثراً عليه الخصاص التي يسكنها الفقراء. جاء ليعيش كما روى عنه النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال: دخلتُ على عليٍّ عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته؛ وكسر يابسة.

فقلت: يا أمير المؤمنين! أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: يا أبا الجنوب! كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا ـ وأشار إلى ثيابه ـ فإن

لم آخـذ بـه خفـتُ ألا ألحـق به!

أو كـما روى عنـه هـارون بـن عنـترة عن أبيـه قـال: دخلت على عـليٍّ بالخورنـق، وهو فصـل الشـتاء، وعليـه خلق قطيفـة، وهو يرعـد فيه.

فقلـت: يـا أمـير المؤمنـين! إنَّ الله قـد جعـل لك ولأهلـك في هذا المـال نصيبـاً، وأنت تفعـل هذا بنفسـك؟

فقال: والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلاّ قطيفتي، التي أخرجتُها من المدينة.

وهنـا يقـف سـيد قطـب؛ الذي قـال قبلُ في حـقَّ الإمـام عـليٍّ عليه السلام: (وهذا عـليّ بن أبي طالـب خليفـة؛ يرعـد من الـبرد في الشـتاء، وعلى جسـده ثوب صيفـي لا وقاء له سـواه، وبيـت المـال في يده، تـذوده عنه تلـك اليقظـة في الضمير، وذلـك الإرهاف في الشـعور).

ليقول فيه هنا أيضاً:

ومـا يصنـع عـليٌّ هـذا بنفسـه وأهلـه، وهـو يجهـل أنَّ الديـن يبيح لـه فوق مـا يصنع، وأنـه لا يحتـم التزهد والحرمان والشـظف، وأنَّ حظّـه من بيت المال في ذلـك الحين ـ كفرد مـن المسـلمين ـ يبلـغ أضعاف مـا يأخـذ، وأنَّ راتبـه كأمير للمؤمنـين يؤدي خدمـة عامة، أكـبر مـن هـذا؛ لو شـاء أن يأخذ مثلـما خصّصه عمـر لبعض ولاته عـلى الأقاليـم، إذ قدر لعـمار بـن يـاسر حـين ولاه الكوفـة سـتمائة درهم في الشـهر لـه ولمسـاعديه، ويـزاد عليها عطـاؤه الـذي يـوزع عليه كـما تـوزع الأعطية عـلى نظرائه، ونصف شـاة ونصـف جريب مـن الدقيـق؛ كما قـدر لعبد الله بن مسـعود مئة درهم وربع شـاة؛ لتعليمه النـاس بالكوفة، وقيامـه عـلى بيت المـال فيها، ولعثـمان بن حنيف مائة وخمسـين درهمـاً وربع شـاة في اليوم مع عطائه السـنوي وهـو خمسـة آلاف درهم...

مـا يصنـع عليٌّ بنفسـه ما صنـع، وهو يجهل هـذا كلـه. إنـما كان يعلـم أنَّ الحاكم مظنة وقـدوة. مظنة التبحبح بالمال العام إذ كان تحت سـلطانه؛ وقـدوة الولاة والرعية في التحرج والتعفف.. وسـار عـليٌّ عليه السلام في طريقه؛ يـرد للحكم صورته كما صاغهـا النبيُّ صلى الله عليه وآله..

وجد درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح قاضيه، يخاصمه مخاصمة رجل من عامة رعاياه، وقال: إنها درعي ولم أبع، ولم أهب.

فسأل شريح النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ قال النصراني: ما الدرع إلاّ درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب!

فالتفت شريح إلى عليٍّ يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟

فضحك عليٌّ؛ وقال: أصاب شريح. ما لي بينة!

فقضى بالدرع للنصراني، أخذها ومشى، و أمير المؤمنين ينظر إليه.. إلاّ أنَّ النصراني لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أنَّ هذه أحكام أنبياء... أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه! أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله. الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين؛ فخرجت من بعيرك الأورق.

فقال عليّ: أما إذ أسلمتَ فهي لك.[1]

ثمَّ يواصل سيد قطب كلامه عن الإمام عليٍّ قائلاً: ولقد كان منهاجه الذي شرعه هو ما قاله في خطبته عقب البيعة له: «أيها الناس إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم، وعليَّ ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيّكم، ومنفذ فيكم ما أمرت به.. ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإنّ الحقَّ لا يبطله شيء؛ ولو وجدته قد تزوج به النساء، وملك الإماء، وفرق في البلدان لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحقُّ؛ فالجور عليه أضيق. أيها الناس .. ألا لا يقولن رجال منكم غداً ـ قد غمرتهم الدنيا، فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة ـ إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون: (حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا). ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار

١ . عبقرية الإمام، للأستاذ العقاد.

مـن أصحـاب رسـول الله ﷺ يـرى أن الفضل لـه على سـواه بصحبته، فـإنّ الفضـل غداً عنـد الله، وثوابـه وأجـره عـلى الله. ألا وأيـما رجـل اسـتجاب لله ولرسـوله، فصـدق ملتنا ودخـل ديننـا واسـتقبل قبلتنا، فقد اسـتوجب حقوق الإسـلام وحدوده؛ فأنتـم عباد الله، والمـال مـال الله، يقسـم بينكم بالسـوية، ولا فضل فيـه لأحد على أحـد، وللمتقين عند الله أحسـن الجزاء».

وهنا يُعقّب سيد قطب قائلاً:

ولقـد كان مـن الطبيعـي ألا يـرضى المسـتنفعون عـن عـليٍّ، وألا يقنع بشرعة المسـاواة مـن اعتـادوا التفضيل، ومـن مردوا على الاسـتئثار. فانحاز هـؤلاء في النهاية إلى المعسـكر الآخـر، معسـكر أميـة، حيث يجـدون فيـه تحقيقـاً لأطماعهم، على حسـاب العـدل والحقّ اللذيـن يصرُّ عليهـما عليٌّ عليه السلام هـذا الإصرار!

موقفـان: راح سـيد قطب يشـير إليهما صراحـةً فيقول: والذيـن يـرون في معاوية دهاءً وبراعـةً لا يرونهـما في عـليٍّ عليه السلام؛ ويعـزون إليهما غلبة معاويـة في النهاية، إنـما يخطئون تقدير الظـروف، كـما يخطئـون فهم عـليٍّ وواجبه. لقـد كان واجب عـليٍّ الأول والأخـير، أن يرد للتقاليـد الإسـلامية قوتهـا؛ وأن يـرد إلى الدين روحه؛ وأن يجلو الغاشـية التي غشـت هذا الروح عـلى أيـدي بنـي أميـة في كـبرة عثـمان. ولـو جـارى وسـائل بنـي أميـة في المعركة، لبطلـت مهمتـه الحقيقية، ولمـا كان لظفره بالخلافـة خالصة من قيمـة في حياة هـذا الدين. إنَّ عليًّـا إمـا أن يكـون عليًّا أو فلتذهـب الخلافة عنه، بـل فلتذهب حياته معهـا. وهذا هو الفهـم الصحيـح، الـذي لم يغـب عنه عليه السلام وهـو يقول فيـما روي عنـه إن صحـت الرواية: «والله مـا معاويـة بأدهـى منـي، ولكنـه يغـدر ويفجـر. ولـولا كراهيـة الغـدر؛ لكنت من أدهـى الناس».

وأيضـاً لسـيد قطـب كلام في كتابه (كتب و شـخصيات) عـن إقصاء المبـدإ الأخلاقي في تعامـل معاويـة وصاحبـه عمـرو بـن العاص في حربهـما ضدَّ الإمـام عليٍّ عليه السلام؛ جـاء منه

ذلك في ردّه على شفيق جبري، الذي حكم على عليٍّ عليه السلام بأنه كان يجهل النفس البشرية؛ لمجرد أنه لم يستخدم الوسائل السياسية، التي استخدمها خصماه معاوية وعمرو بن العاص، فيقول: وأبسط نظرة تكشف أنَّ هناك فارقاً كبيراً بين معرفة السلاح واستخدام هذا السلاح، فلم يكن الفرق بين عليٍّ وبين خصميه أنه يجهل النفس البشرية وأنهما يعرفانها، إنما كان الفرق في حقيقته هو الرضى باستخدام كلّ سلاح، يرضاه الخلق العالي أو يأباه، فعليٌّ لم تكن تنقصه الخبرة بوسائل الغلبة، ولا بنوازع النفوس البشرية وأهوائها، ولكنه لم يكن يتدنى لاستخدام الأسلحة القذرة جميعاً. وفي ردّه على من أشاروا عليه بتوزيع المال لرشوة الضمائر ما يكفي:

«أتأمرني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الإسلام، فوالله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم»!

فحين قالها لم يكن جاهلاً أنَّ الناس عامة همهم حطام هذه الدنيا ولكنه كان مترفعاً عن استخدام سلاح تستقذره نفسه الكريمة، ويستخدمه خصمه بلا تحرج! وكذلك ردّه على ابن عباس حين استصوب إشارة المغيرة بن شعبة على عليٍّ عليه السلام بأن يُولي الزبير البصرة ويولي طلحة الكوفة؛ ليدل على هذا، فلقد قال:

«ولو كنت مستخدماً أحداً لضره ونفعه، لاستعملتُ معاوية على الشام». فهو إذن لم يكن يجهل ما يضرّ وما ينفع، ولكنه كان يأبى ويترفع!

ويواصل سيد قطب كلامه ليقول: إنَّ معاوية وزميله عمراً (عمرو بن العاص) لم يغلبا عليًّا؛ لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كلِّ سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله عمرو إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، لا يملك عليٌّ عليه السلام أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كلِّ نجاح.

على أنَّ غلبة معاوية على عليٍّ عليه السلام كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مدّ الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر، وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي عليٌّ في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار. من هنا كانت هزيمته، وهي هزيمة أشرف من كلِّ انتصار.

وعن خديعة رفع المصاحف، التي قال شفيق جبري عنها: .. وعلى كلِّ حال، فإنَّ هذه الخديعة، التي أوحى إلى صاحبها بها علمُ النفس، كان فيها حقن دماء المسلمين، وخديعة فيها منتهى حرب ومنتهى دماء، إنما هي خديعة خير. جاء ردّ سيد قطب عليه قائلاً: من هذا التعليق، ومن إشادته بمعاوية في كلّ موضع، نحسُّ شديد إعجابه بسياسة معاوية، وقد عرفنا من قبل رأيه في ترفع عليٍّ عليه السلام. ونحن نأخذ على المؤلف هذا الاتجاه الخطير. فما كانت خديعة المصاحف ولا سواها خديعة خير؛ لأنها هزمت عليًّا ونصرت معاوية، لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام، التي لم تتمكن بعد من النفوس، ولو قد قدّر لعليٍّ أن ينتصر؛ لكان انتصاره فوزاً لروح الإسلام الحقيقية: الروح الخلقية العادلة المترفعة، التي لا تستخدم الأسلحة القذرة في النضال؛ ولكن انهزام هذه الروح ولما يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضي عليها، فلم تقم لها قائمة بعد ـ إلاّ سنوات على يد عمر بن عبد العزيز ـ ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية. لقد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعده، ولكن روح الإسلام قد تقلصت وهزمت، بل انطفأت. فإن يهش إنسان لهزيمة الروح الإسلامية الحقيقية في مهدها، وانطفاء شعلتها بقيام ذلك الملك العضوض، فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها. على أننا لسنا في حاجة يوماً من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية، فهي جزء من طبائع الناس عامة، إنما نحن بحاجة إلى خطة عليٍّ عليه السلام، فهي التي تحتاج إلى

ارتفاع نفسي يجهد الكثيرين أن ينالوه. ثم أردف قائلاً: وإذا احتاج جيل لأن يدعي إلى خطة معاوية، فلن يكون هو الجيل الحاضر على وجه العموم. فروح «مكيافيلي» التي سيطرت على معاوية قبل مكيافيلي بقرون، هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها! لأنها روح «النفعية» التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات!

وهنا يأتي ردُّه الذي ذكرناه أعلاه على الذين وصفوه بالتشيع، بعد أن ملأت قراءتُه هذه المتّصفة بدقة وانتصار للحقِّ قلوبَهم غيظاً؛ حيث قال: وبعد، فلستُ (شيعياً) لأقرر هذا الذي أقول، إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي الخلقي، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعياً؛ لينتصر للخُلق الفاضل المترفع عن (الوصولية) الهابطة المتدنية، ولينتصر لعليٍّ عليه السلام على معاوية وعمرو، إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة.[1]

ويقول سيد قطب: ومضى عليٌّ عليه السلام إلى رحمة ربّه! وجاء بنو أمية، فلئن كان إيمان عثمان وورعه ورقته، كانت تقف حاجزاً أمام أمية، لقد انهار هذا الحاجز، وانفتح الطريق للانحراف.

ولا تغيب عن ذهن سيد قطب خطبة معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح ساقها دليلاً وإبرازاً لمظاهر التحول والانحسار، التي أصابت الروح الإسلامي في الحكم:

فهذه خطبة معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح، التي يقول فيها: يا أهل الكوفة! أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، قد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم؛ وقد آتاني الله ذلك، وأنتم كارهون. ألا إنّ كلّ مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكلّ شرط شرطته، فتحت قدمي هاتين. وهذه خطبته كذلك في أهل المدينة: أما بعد، فإني والله ما وليتها

١ . انظر كتاب كتب و شخصيات : ٢٣٩ ـ ٢٤٤) .

بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة؛ ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً؛ وأردتها على سنيات عثمان، فأبت عليَّ؛ فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة، مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية...

لقد اتسعت رقعة الإسلام فيما بعد، ولكن روحه انحسرت بلا جدال. ولولا قوة كامنة في طبيعة هذا الدين، وفيض عارم في طاقته الروحية؛ لكانت أيام أمية كفيلة بتغيير مجراه الأصيل؛ ولكن روحه ظلت تقاوم وتغالب، وما تزال فيها الطاقة الكامنة للغلب والانتصار؛ غير أنه منذ أمية انساحت حدود بيت مال المسلمين، فصار نهباً مباحاً للملوك والحاشية والمتملقين؛ وتخلخلت قواعد العدل الإسلامي الصارم، فأصبح للطبقة الحاكمة امتيازات، ولأذيالها منافع، ولحاشيتها رسوم؛ وانقلبت الخلافة ملكاً، وملكاً عضوضاً، كما قال عنه رسول الله ﷺ في وثبة من وثبات الاستشفاف الروحي العميق. وعدنا نسمع عن الهبات للمتملقين والملهين والمطربين، فيهب أحد ملوك أمية اثني عشر ألف دينار لمعبد، ويهب هارون الرشيد من ملوك العباسيين إسماعيل بن جامع المغني في صوت واحد أربعة آلاف دينار، ومنزلاً نفيس الأثاث والرياش وتنطلق الموجة في طريقها لا تقف إلاّ فترة بين الحين والحين .. وبذلك خرجت سياسة الحكم نهائياً من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام؛ هذا عن سياسة الحكم.

سياسة المال:

وأما عن سياسة المال، فيقول سيد قطب: فأما سياسة المال، فكانت تبعاً لسياسة الحكم، وفرعاً عن تصور الحكّام لطبيعة الحكم وطريقته، ولحق الراعي و الرعية. فأما في حياة محمد ﷺ وصاحبيه، وفي خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكانت النظرة السائدة هي النظرة الإسلامية: وهي أنّ المال العام مال الجماعة؛ ولا حق للحاكم بنفسه أو بقرابته أن يأخذ منه شيئاً إلاّ بحقه؛ ولا أن يعطي أحداً منه إلاّ بقدر ما يستحق، شأنه

شـأن الآخريـن. وأما حين انحـرف هذا التصـور قليلاً في عهـد عثمان، فقـد بقيت للناس حقوقهـم؛ وفهـم الخليفـة أنـه في حل ـ وقد اتسـع المال عـن المقـررات للنـاس ـ أن يطلق فيـه يـده يـبرُّ أهله ومن يـرى من غيرهم حسـب تقديره. وأمـا حين صار الحكـم إلى الملك العضـوض، فقـد انهـارت الحـدود والقيـود، وأصبـح الحاكم مطلـق اليد في المنـع والمنح، بالحـقّ في أحيـان قليلة، وبالباطل في سـائر الأحيان. واتسـع مال المسـلمين لـترف الحكام وأبنائهـم وحاشـيتهم ومملقيهـم إلى غـير حدٍّ، وخـرج الحكّام بذلـك نهائياً مـن كلّ حدود الإسـلام في المـال.. هـذه صـورة مجملـة نعـرض لها نـماذج نفصلهـا مـن وقائـع التاريخ. كانـت مـوارد بيت المـال منذ أيـام الرسـول صلى الله عليه وآله هي...

وبعـد أن راح يعددهـا، ويتحـدث عـن سياسـة المال في عهـد رسـول الله صلى الله عليه وآله والخليفة الأول، ولمـا يصـل إلى الثـاني نـرى سـيد قطـب يتوجّع ويتأسّـف؛ لخطـورة مـا فعله عمر مـن التفرقـة في العطـاء..، فيقـول: ولكـن وا أسـفاه! لقـد فـات الأوان، وسـبقت الأيـام عمر، ووقعـت النتائـج المؤلمـة التي أودت بالتـوازن في المجتمع الإسـلامي، كـما أدت فيما بعـد إلى الفتنـة، بـما أضيـف إليهـا من تـصرف مـروان وإقـرار عثمان!

ثـمَّ يواصـل كلامه قائلاً: رجـع عمر إذن عن رأيـه في التفرقة بين المسـلمين في العطاء، حينـما رأى نتائجـه الخطـرة، إلى رأي أبي بكـر. وكذلـك جـاء رأي عـليٍّ عليه السلام مطابقـاً لرأي الخليفـة الأول ـ ونحـن نميـل إلى اعتبار خلافـة عليٍّ عليه السلام امتـداداً طبيعياً لخلافة الشـيخين قبلـه، وأنّ عهـد عثـمان الـذي تحكـم فيه مـروان كان فجـوة بينهـما ـ لذلك نتابـع الحديث عـن عهد عـليٍّ عليه السلام، ثم نعـود للحديـث عن الحالـة في أيـام عثمان.

اختـار عـليٌّ عليه السلام مبدأ المسـاواة في العطـاء، وقد نصَّ عليـه في خطبتـه الأولى حيث قال: **«ألا وأيـما رجـل من المهاجريـن والأنصار من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله يـرى أنّ الفضل له عـلى سـواه بصحبتـه، فـإنّ الفضـل غـداً عنـد الله، وثوابـه وأجـره عـلى الله. ألا وأيما رجل اسـتجاب لله ولرسـوله، فصـدق ملتنـا ودخـل ديننـا، واسـتقبل قبلتنـا، فقـد اسـتوجب**

حقـوق الإسـلام وحـدوده. فأنتـم عبـاد الله، والمـال مـال الله، يقسـم بينكم بالسـوية؛ ولا فضـل فيه لأحـد على أحـد؛ وللمتقـين عند الله أحسـن الجـزاء».

وعـن هـذه الخطبة للإمـام يقول سـيد قطب: هذا هـو المبدأ الإسـلامي السـليم الذي يتفـق مـع روح المسـاواة الإسـلامية؛ ويكفـل للمجتمـع الإسـلامي التـوازن، فـلا يـدع الثـروات تتضخـم إلاّ بقـدر الجهـد والعمـل وحدهمـا، لا بفضـل إتاحـة فرصـة لا تتـاح للآخريـن، بوجـود وفـر مـن المـال للعمـل فيه أكـبر ممـا لـدى الآخرين...

فلـما جـاء عثـمان أباح لهـم أن يضربـوا في الأرض. ولم يبح لهـم هذا وحـده بل يسر لهم وحضهـم عـلى توظيـف أموالهم في الـدور والضيـاع في الأقاليـم، بعدما آتـى بعضهم من الهبات مئـات الآلاف.

لقـد كان ذلـك كلّـه برًّا ورحمة بالمسـلمين وبكبارهم خاصة. ولكنه أنشـأ خطـراً عظيماً لم يكـن خافيـاً عـلى فطنـة أبي بكـر، وفطنة عمر بعـده. أنشـأ الفـوارق الماليـة والاجتماعية الضخمـة في الجماعة الإسـلامية، كما أنشـأ طبقة تأتيهـا أرزاقها من كلّ مـكان دون كد ولا تعـب؛ فـكان الـترف الـذي حاربه الإسـلام بنصوصـه وتوجيهاته، كـما حاربـه الخليفتان قبـل عثـمان، وحرصاً عـلى ألا يتيحياه.

وعـن الصحـابي الجليـل أبي ذرٍّ الغفاري، يقول سـيد قطب: عندئذ ثار الروح الإسـلامي في نفـوس بعـض المسـلمين، يمثلهم أشـدهم حرارةً وثـورةً أبـوذر. **(ذلك الصحـابي الجليل الـذي لم تجـد هيئـة الفتـوى المصريـة في الزمـن الأخـير إلاّ أن تخطئـه في اتجاهـه؛ وإلاّ أن تزعم لنفسـها بـصراً بالديـن أكثـر مـن بـصره بدينـه! ثـم عـادت ـ في مناسـبة أخـرى ـ فأصدرت فتـوى بصـواب اتجاهه، عندمـا تغيرت الظروف الأولى! كأن دين الله سـلعة تتجـر بها الهيئة في سـوق الرغبـات!)** قـام أبوذر ينكر على المترفـين ترفهم الـذي لا يعرفه الإسـلام؛ وينكر على معاويـة وأميـة خاصـة سياسـتهم التي تقـر الترف، وتسـتزيد منـه وتتمـرغ فيـه؛ وينكر على عثـمان نفسـه أن يهـب من بيت المـال المئات والألـوف، فيزيد في ثـراء المثرين وتـرف المترفين.

علـم أنّ عثـمان أعطـى مـروان بن الحكـم خُمس خـراج إفريقيـة، والحارث بـن الحكم مائتـي ألـف درهـم، وزيـد بن ثابـت مائة ألـف... وما كان ضمـير أبي ذر ليطيق شـيئاً من هـذا كلّـه. فانطلق يخطب في النـاس: «لقد حدثت أعـمال ما أعرفها، والله مـا هي في كتاب الله ولا سـنة نبيـه، والله إني لأرى حقـاً يطفأ وباطلاً يحيـا، وصادقاً مكذبـاً، وأثرة بغير تقى .. يـا معـشر الأغنياء واسـوا الفقـراء، وبشر الذين يكنـزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها في سـبيل الله بمـكاو مـن نـار، تكـوى بها جباههـم وجنوبهـم وظهورهـم .. يا كانـز المال اعلـم أنّ في المـال ثلاثة شركاء: القدر لا يسـتأمرك أن يذهب بخيرهـا أو شركها من هلاك أو مـوت؛ والـوارث ينتظـر أن تضع رأسـك ثم يسـتاقها وأنت ذميـم، وأنـت الثالث، إن اسـتطعت ألا تكـون أعجز الثلاثـة فلا تكونـن .. إنّ الله عزَّوجلَّ يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْـبِرَّ حَـتَّى تُنْفِقـوُا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. اتخذتم سـتور الحريـر، ونضائد الديبـاج؛ وتألمتم الاضطجاع عـلى الصـوف الأذربي، وكان رسـول الله ﷺ ينـام عـلى الحصـير؛ واختلف عليكـم بألوان الطعام، وكان رسـول الله ﷺ لا يشـبع من خبز الشـعير».

وروى مالـك بـن عبـدالله الزيادي عـن أبي ذر: أنه جاء يسـتأذن عثمان بـن عفان، فأذن لـه وبيـده عصـاه. فقـال عثمان: يـا كعـب، إنّ عبدالرحمن تـوفى وترك مـالاً، فما تـرى فيه؟ فقـال: إن كان يصـل فيه حـق الله فلا بأس عليه. فرفـع أبو ذر عصاه فـضرب كعباً. وقال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «مـا أحبّ لو أنّ لي هـذا الجبل ذهباً أنفقـه ويتقبل مني، أذر خلفـي منـه سـت أواق». أنشـدك الله يـا عثمان أسـمعته ـ ثلاث مـرات ـ قال نعـم ... وما كانـت مثـل هذه الدعـوة ليطيقها معاويـة، ولا ليطيقها مـروان بن الحكم؛ فـما زالا به عند عثـمان يحرضانـه عليـه حتى كان مصـيره إلى «الربـذة» منفياً مـن الأرض في غـير حرب لله ورسـوله، وفي غـير سـعي في الأرض بالفسـاد كما تقول شريعة الإسـلام! لقـد كانت هذه الصيحـة يقظـة ضمير مسـلم لم تخـدره الأطماع، أمـام تضخم فاحـش في الثـروات، يفرق الجماعـة الإسـلامية طبقات، ويحطم الأسـس التـي جاء هـذا الدين ليقيمها بـين الناس.

وأمـا عـن الثـروات!! فيقول سـيد قطب: وبحسـبنا أن نعـرض هنا نموذجـاً للثروات

الضخام أورده المسعودي، قال: في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة. وبلغ الثُمْن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كلّ يوم، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك، ...[1]

التفرقة في العطاء!

ولا يفوت سيد قطب أن يشير هنا إلى خطورة سياسة التفرقة في العطاء، التي انتهجها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث يعيد سياسة التوسعة وهذا الثراء إلى جذرها الأول، إلى نهج التفضيل، الذي اتبعه في العطاء، فيقول: هذا هو الثراء الذي بدأ صغيراً بإيثار بعض المسلمين على بعض في العطاء في أيام عمر ـ ذلك الإيثار الذي كان معتزماً إبطاله وتلافي آثاره لولا أن عاجلته الطعنة ... ـ ثم نما وازداد بإبقاء عثمان عليه، فضلاً على العطايا والهبات والقطائع. ثم فشا فشواً ذريعاً بتجميع الأملاك والضياع وموارد الاستغلال، بما أباحه عثمان من شراء الأرضين في الأقاليم وتضخيم الملكيات في رقعة واسعة؛ وبمقاومة الصيحة الخالصة العميقة التي انبعثت من قلب أبي ذر؛ وكانت جديرة لو بلغت غايتها، ولو وجدت من الإمام استماعاً لها، وأن تعدل الأوضاع، وأن تحقق ما أراده عمر في أواخر أيامه من رد فضول الأغنياء على الفقراء، بما يبيحه له سلطان الإمامة لدفع الضرر عن الأمة، بل بما يحتمه عليه تحقيقاً لمصلحة الجماعة. وبقدر ما تكدست الثروات وتضخمت في جانب، كان الفقر والبؤس في الجانب الآخر حتماً، وكانت النقمة والسخط كذلك. وما لبث هذا كله أن تجمع وتضخم، لينبعث فتنة هائجة، يستغلها أعداء الإسلام، فتودي في النهاية بعثمان

١ . عن كتاب عثمان، للأستاذ صادق عرجون ؛ مروج الذهب، للمسعودي (ت ٣٤٦) : ٣٤١ ـ ٣٤٣ .. هذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الأموال في أيامه ...

وتـؤدي معه بأمـن الأمة الإسـلامية وسـلامتها؛ وتسـلمها إلى اضطراب وفـوران لم يخب أواره حتـى كان قـد غشـى بدخانه على روح الإسـلام، وأسـلم الأمـة إلى ملك عضوض.

وغضِـب أهـلُ المصالـح! وعـن هـؤلاء يقـول سـيد قطـب: لذلـك لم يكـن غريبـاً أن يغضـب أصحـاب الأمـوال، والمسـتنفعون من تفـاوت الحظـوظ في العطاء، على سياسـة المسـاواة والعدالـة التـي اعتزمها عـليٌّ عليه السلام بعد عثـمان؛ وأن يتظاهـروا بأنهم إنـما ينصحون بالعـدول عـن هـذه السياسـة خوفـاً عليه مـن الانتقاض، فـما كان جوابـه إلاّ أن يسـتلهم روح الإسـلام في ضمـيره القـوي فيقول: «أتأمـروني أن أطلب النصر بالجـور فيمن وليت عليـه؟ لـو كان هـذا المـال لي لسـويت بينهم؛ فكيـف وإنـما المـال مـال الله؟ ألا وإن إعطاء المـال في غـير حقـه تبذيـر وإسراف؛ وهـو يرفع صاحبـه في الدنيـا؛ ويضعـه في الآخرة».

وأختـم هـذا الموجـز بـما ذكره بعده سـيد قطـب حيث قـال: فأما بنـو أمية فقد سـاروا في سياسـة المـال سـيرة أخـرى.. ففي أيـام بني أميـة ثـم في أيام بنـي العباس مـن بعدهم، كان بيـت المـال مباحـاً للملوك كأنه ملـك لهم خاص .. وكـم عدا من يسـمون خلفاء من الملـوك عـلى أموال المسـلمين العامة، وكـم بعدت سياسـة المال عن أصول الإسـلام، وكم ارتفـع الثـراء والـترف في جانـب والبـؤس والشـقاء في جانـب، وكـم اختـل المجتمـع الإسـلامي نتيجـة بعده عـن النهج الإسـلامي، وتنكره للمبادئ الإسـلامية. من النكسـة التـي أصابتـه في مطلـع عهده، عـلى أيدي بنـي أمية...

ولكـن الواقـع التاريخـي للإسـلام ـ عـلى الرغم من هـذا كله ـ اسـتطاع أن يقـرر عدة مبـادئ أساسـية في «سياسـة المال» وأن يحقـق الكثـير مـن نظريـات الإسـلام ومبادئه على الرغـم مـن النكسـة، التـي أصابتـه في مطلع عهـده، وعلى أيـدي بنـي أُميّة ...

* * *

فبعـد هـذه المقدمـة، التـي تبيّن لنـا أسـباب الثـورة ضـدَّ الفسـاد والثـراء الفاحش في الخلافـة الثالثـة وإمـارة الشـام، وقد تحـدث عنهـا عـددٌ، اكتفينا منهم بسـيد قطـب، وقد

حمل مسؤولية الثورة الكثير من الصحابة، ومنهم الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي، فهو من قبيلة خزاعة، والتي تعرض ذكرها في العدد ٤٧ من هذه المجلة، حيث كانت في تلك المجلة مقالتان: الأولى عن الأصنام، وامتدّت إلى العدد ٤٨، والثانية تحت عنوان (خُزاعيّون) والمقالتان تضمنتا حديثاً مختصراً عن خُزاعة؛ عن وجودها الطويل الضارب في عمق التاريخ والمؤثر فيه عبر دورها الاجتماعي، وعن إسلامها، و شخصيّات منها، ونُلحق أولئك بخُزاعيٍّ آخر إن لم يساوهم بالفضل، فهو لا يقلُّ عنهم منزلةً وسيرةً في الإسلام، وفيما قدموه من مواقف مُلئت قوّةً وصلابةً، وحفظاً للقيم والمبادئ التي آمنوا بها حين أعلنوا الشهادتين بصدق وإخلاص..

إنه **عمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ** بن كاهل، ويقال: الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القَين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لُحَيٌّ بن حارثة بن عمرو بن تمام أو عامر بن حارثة الخزاعي الكعبي. أو... ابن كعب بن عمرو بن ربيعة الخُزاعيّ. فهو من خُزاعة عند أكثرهم، ومنهم من ينسبُه، فيقول: هو عمرو بن الحَمق، والحَمق هو سعد بن كعب. وقد ذكروا أنَّ للحمق معاني عديدة منها: الحَمِق من حَمِقَ، حَمِقَ فلانٌ يَحمَقَ حَمَقاً: خَفَّت لحيتُه، فهو حَمِقٌ. والحَمِقُ، ككَتِفٍ: الخَفِيفُ اللِّحْيَةِ عن ابن دُرَيْدٍ، وبه سُمِّيَ الرّجُل. حَمِقَ الرَّجُلُ: خَفَّتْ لِحْيَتُهُ. وشَابٌّ حَمِقٌ: خَفِيفُ اللِّحْيَةِ فالحَمِقُ بفتح أوله وكسر الميم بعدها قاف: الخفيف اللحية؛ وبه سمّي عمرو بن الحَمِق رضي الله عنه...[1]

١ . انظر المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى ورفاقه؛ لسان العرب، لابن منظور ٤ : حمق؛ المعجم الغني (حَمِق)، الغني ـ عبدالغني أبوالعزم الرائد ـ جبران مسعود؛ تاج العروس، للزبيدي: حمق؛ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ومؤلفه: مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ). المحقق: أبوعبدالرحمن عادل بن محمد ـ أبو محمد أسامة بن إبراهيم. الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ١٠ رقم ٤٠٨٢ عن كتاب «ليس» لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني (ت. ٣٧٠ هـ).

وجـدّه مـن أبيه عـرف بأنـه كان كاهناً، لـه مكانته الاجتماعيـة وكلمته التـي يفصل بها بـين المتنازعين..

وأمـا عـن ولادة عمـرو بـن الحمـق، فيُقـال: إنَّ ولادتـه كانـت قبـل الهجـرة النبويـة الشريفـة بأكثـر مـن ثلاثـين سـنة...[1]

إسلامه وهجرته :

يكفيـه أنـه ممن حظـي بمدرسـة الصحبة المباركـة لرسـول اللهﷺ فما إن وفـق لها حتى كان بصـيراً بهـا واعيـاً لقيمها متمسـكاً بها؛ ومنذ أن نطقت شـفتاه شـهادتي الإسـلام بعد أن صـدّق بهـما قلبُه قبل فتح مكـة المكرمة، أو عام حجّـة الوداع والأول أصـحُّ كما ذكروا، فيـما ذُكـر في الإصابـة ... عـن ابـن إسـحاق ما يقتـضي أنّ عمـرو بن الحمق شـهد بـدراً، ووقعـة بـدر كانـت في السـابع عشر مـن رمضان في العـام الثاني مـن الهجرة، وهـذا القول إن صـحَّ، فـإنَّ إسـلام هذا الصحابي سـبق فتح مكة، الـذي وقع في العشريـن من رمضان في العـام الثامـن للهجـرة، فضـلاً عن عـام حجّة الـوداع في العام العـاشر للهجرة.

وكان ذلـك في شـبابه، ولعـلَّ عمـره كان خمسـة وعشريـن عامـاً أو يقـرب مـن ذلك. وكان هـذا الصحابي مقرّبًا للرسـولﷺ وقد سـقى النبـيَّﷺ في أحد الأيام لبنـاً، أو شربة مـاء، فنـال دعـاءه، فعـن عمرو بـن الحمق أنـه سـقى النبـيَّﷺ فقـال: «**متّعه بشـبابه**» أو «**اللهـمَّ أمتعـه بشـبابه**». فبقـي ثمانين سـنة لا تُـرى، أو لم تُرَ في لحيته شـعرة بيضـاء ...

وقال أحدهم: يعني أنه استكمل الثمانين، لا أنه عاش بعد ذلك ثمانين.

لم يشِـب رأسُ عمـرو حتـى وهـو في الثمانـين، وقيل في التسـعين، حين ختمـت حياته قتيـلاً بأيدي القاسـطين، وقد رفعوا رأسـه، الذي حظـي بدعاء وبركة رسـول اللهﷺ على

١ . انظـر الإصابـة، رقم : ٥٨٣٤ ؛ الاسـتيعاب في معرفة الأصحـاب ٣ : ٢٥٧ ؛ طبقات خليفة ١ : ٢٣٠ رقم ٩٤٠ .

رمـح يُطـاف بـه في البلـدان والأزقـة، فعُـدَّ أول رأس يُطاف بـه في الإسـلام، وكأنه يحكي للمـلإ مـن حوله وللنـاس جميعاً تجـاوز الظالمين وبغي المفسـدين! كـما يأتينا.

وأمـا عـن هجرتـه إلى المدينـة، فكما اختلفـت أقوالهم في وقت إسـلامه، فكـذا في وقت هجرتـه، مـع الاتفاق عـلى أنه كان قد هاجر بعد إسـلامه إلى المدينة، فحظي بوسـام الهجرة المباركـة لرسـول اللهﷺ ففي قـول: ما إنَّ تمَّ صلح الحديبية في شـهر ذي القعـدة من العام السـادس الهجـري، وكان مـن بنـوده (فمن أحـبَّ من القبائـل أن يتحالف مـع النبيِّﷺ، فليتحالـف) حتـى التحـق كثير مـن قبيلة خُزاعـة برسـول اللهﷺ في المدينة المنـوّرة، وكان منهم عمـرو بن الحمـق الخُزاعي ..

وفي الإصابـة: أخـرج الطّـبرانيّ مـن طريق صخر بـن الحكم، عن عمّـه، عن عمرو بن الحمق، قـال: هاجـرت إلى النبـيِّﷺ، فبينـما أنا عنـده، فذكر قصـة في فضل عليٍّ. وسـنده ضعيف.

ولتكـون المدينـة مـكان إسـلامه، ودار هجرتـه، وقـد ذكـرت قبـل أو قبيـل إسـلامه وهجرتـه أخبـار عديـدة تبـيّن أنَّ له فضائـل ومكانةً كبـيرة؛ وتحمـل أكثر من بشـارة نبويّة لـه، منهـا: .. عـن مَعْمَر، عن قتـادة، قـال: كان النبيُّﷺ جالسًـا في أصحابه يومًـا، فقال: «**اللّهـمَّ أَنْـج أصحـاب السَّـفينة**»، ثمَّ مكث سـاعةً، فقـال: «**قد اسْـتمرت**»، فلـمَّا دنوا من المدينـة، قـال: «**قد جـاءُوا يقودهـم رجل صالـح**»، والذين كانوا في السـفينة الأشـعريون كانـوا أربعـين رجـلاً، والـذي قادهـم عمـرو بـن الحمـق الخزاعي. قـال: قـال النبيُّﷺ: «**مـن أين جئتـم**»؟ قالـوا: من زبيد. قـال النبيُّﷺ: «**بـارك الله في زبيد**». قالـوا: وفي رمع! قـال: «**بـارك الله في زبيـد**». قالـوا: وفي رمع يـا رسـول الله! فقـال في الثالثـة: «**وفي رمع**».

ومنهـا: أنـه: لمـا بعـث رسـول اللهﷺ جماعـة مـن الصحابـة في بعثـة، قـال لهـم: إنكم سـتلقون رجـلاً صبيح الوجـه، يطعمكم مـن الطعام، ويسـقيكم من الـشراب، ويهديكم الطريـق، هو مـن أهـل الجنّة.

فأقبلوا حتّى انتهوا إلى عمرو بن الحمق الخزاعيّ، فأمر فتيانه، فنحروا جزوراً، وحلبوا من اللبن، فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاؤوا، ويسقون من اللبن ثم أصبحوا، فقال لهم: ما أنتم بمنطلقين حتى تطعموا أو تزودوا، فقام رجلٌ منهم وضحك إلى صاحبه، فقال عمرو: ولم ضحكت؟

فقال: أبشر ببشرى الله ورسوله! فقال عمرو: وما ذاك؟ فقال: بعثنا رسول الله ﷺ في هذا الفج، وأخبرناه أنه ليس لنا زاد ولا هداية الطريق، فقال: ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم الطعام، ويسقيكم من الشراب، ويدلّكم على الطريق، هو من أهل الجنة، فلم نلق مَن يوافق نعت رسول الله النبيّ ﷺ غيرك، فركب عمرو بن الحمق معهم، وأرشدهم على الطريق، ثم سار عمرو بن الحمق إلى رسول الله ﷺ حتى بايعه وأسلم، وكان إسلامه بعد الحُدَيبية، وشارك مع رسول الله ﷺ في غزواته.

ومنها: أنَّ رسول الله ﷺ أرسل سرية، فقال لهم: «إنكم تضلون ساعة كذا من الليل، فخذوا ذات اليسار، فإنكم تمرون برجل فاضل خير في شأنه فتسترشدونه، فيأبى أن يرشدكم حتى تصيبوا من طعامه، فيذبح لكم كبشاً فيطعمكم، ثم يقوم فيرشدكم، فاقرأوه مني السلام، وأعلموه أني قد ظهرت بالمدينة». فمضوا فضلوا الطريق، فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله ﷺ تياسروا؟ ففعلوا، فمروا بالرجل الذي قال لهم رسول الله ﷺ، فاسترشدوه، فقال لهم الرجل: لا أفعل حتى تصيبوا من طعامي، ففعلوا، فأرشدهم الطريق ونسوا أن يقرأوه السلام من رسول الله ﷺ فقال لهم الرجل ـ وهو عمرو بن الحمق رضي الله عنه ـ: أظهر النبيُّ عليه السلام بالمدينة؟

فقالوا: نعم، فلحق به ولبث معه ما شاء الله، ثم قال له رسول الله ﷺ: «إرجع إلى الموضع الذي منه هاجرت، فإذا تولّى أميرُالمؤمنين عليه السلام فأته، فانصرف الرجل، حتى إذا تولّى أميرُ المؤمنين عليه السلام الكوفةَ، أتاه وقام معه بالكوفة ...

إذن، فإنَّ مما لا شك فيه أنَّ الرجل، وعلى ضوء هذه الأخبار، كان من الأولياء الصالحين، وأنه أسلم في حياة رسول الله ﷺ ونال صحبته وكان من المهاجرين.

وهجرته إلى الله ورسوله معروفة، ومكانه منه ﷺ مشهور، ومدحه ﷺ له مذكور

هكذا وصف الشيخ المفيد رحمه الله تعالى هجرةَ هذا الصحابي ومكانته من رسول الله ﷺ ومدح الرسول ﷺ له! وعلى قول كان من البدريين، إذا ما أخذنا بما جاء في الإصابة: وقع في «الكنى» للحاكم أبي أحمد في ترجمة أبي داود المازني، من طريق الأموي، عن ابن إسحاق ما يقتضي أنّ عمرو بن الحمق شهد بدراً.[1]

خلاصة ما ذكره بعض علماء الرجال:

فمن أهل السنة؛ أنه سقى النبيَّ ﷺ لبناً، فقال: «اللهم أمتعه بشبابه»، فمرت به ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء .. أنه بايع النبيَّ ﷺ في حجة الوداع، وصحبه بعد ذلك، وروى عنه، وسكن الكوفة، ثمَّ انتقل إلى مصر، وأنه أحد من ألب على عثمان. وكان من شيعة عليٍّ عليه السلام، وشهد معه مشاهده. وكان يوم صفين على خُزاعة، ولما قدم زياد الكوفة أثاره عُمارة بن عُقبة بن أبي معيط، فقال: إنَّ عمرو بن الحمق من شيعة عليٍّ عليه السلام، فسيَّر إليه يقول: ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك؟! من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد.. تطلّب زياد رؤساء أصحاب حجر، فخرج عمرو إلى الموصل هو ورفاعة بن شداد... وبعد أن عثروا عليه، كتب لهم معاوية بقتله، فقتل في الموصل سنة إحدى وخمسين، وكان رأسه أول رأس أهدي في الإسلام إلى معاوية...[2]

---

١ . انظر الإصابة، لابن حجر العسقلاني رقم : ٥٨٣٤ ؛ وأسد الغابة، لابن الأثير: عمرو بن الحمق؛ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، فضائل أهل اليمن ؛ رقم ١٤٢٤ ؛ المصنف، لعبد الرزاق رقم ١٩٨٩١ ؛ ورواه أيضاً البيهقي في الدلائل ٦ : ٢٩٨ ؛ تاريخ دمشق ٤٥ رقم ٥٣٣١ وفيه (زَمْع) لا (رَمْع) و(زَمْع) وفي الهامش: من منازل حمير باليمن ؛ معجم ما استعجم ١ : ٧٠٢ ولم يذكره ياقوت ؛ معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ١٤ : ٩٨ رقم ٨٩٠٢ عن رجال الكشي ؛ كتاب الجمل، للشيخ المفيد، تحقيق السيد علي شريفي : ١٠٤ .

٢ . تهذيب الكمال، للمزي (ت٧٤٢ هجرية)٢١ : ٥٩٦ رقم ٤٣٥٣ ؛ تاريخ الإسلام، للذهبي (ت ٧٤٨هجرية) ٢ : ٤٢٤ رقم ٤٩ .

هـذا مختـصر ما ذكـروه، وأمـا عند الإماميـة، فقد ذكـروا أنَّ الشـيخ الطوسي عـدّه من أصحاب عليٍّ عليه السلام ومـن أصحـاب الحسـن عليه السلام. فيـما عدَّه البرقـي من شرطـة الخميس من أصحاب عـليٍّ عليه السلام .. وهكـذا عـدّه غيرهـم مـن أصفيـاء أصحاب أمير المؤمنـين عليه السلام ومن خواصـه ومـن الذيـن رجعـوا إليـه. وذكـروا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام جعلـه في حرب الجمل، وفي حرب صفـين عـلى الكمـين .. وأنَّ ابـن شـهر آشـوب روى عـن كتـاب فضائـل الصحابـة، أنَّ عليًّا عليه السلام قال: «**أسـلمت قبل الناس بسـبع سـنين**»، وعن تاريخ بغداد وعدة كتـب أخـر، عـن حبـة العـرني، أنـه قـال: بعـث النبيُّ صلى الله عليه وآله يـوم الاثنـين، وأسـلمت يـوم الثلاثـاء، ثـم قـال: وقـد روى وجـوه الصحابة، وخيـار التابعـين، وأكثر المحدثـين ذلك، وعـدَّ منهم عمـرو بـن الحمق..

وقـال الكـشي: جبرئيل بـن أحمد الفاريابي، قال: حدثنـي محمد بن عبـد الله بن مهران، عن الحسـن بـن محبوب، عن أبي القاسـم ـ وهـو معاوية بن عـمار إن شـاء الله ـ رفعه، قال: أرسل رسـول الله صلى الله عليه وآله سريـة، فقال لهم: «إنكم تضلون سـاعة كذا من الليـل، فخذوا ذات اليسـار فإنكـم تمرون برجل [فاضل خير] في شـأنه فتسترشـدونه فيأبى أن يرشـدكم حتى تصيبوا من طعامه، فيذبح لكم كبشـا فيطعمكم، ثم يقوم فيرشـدكم، فاقرأوه مني السـلام وأعلمـوه أني قـد ظهـرت بالمدينـة»، فمضـوا، فضلـوا الطريق، فقـال قائل منهـم: ألم يقل لكم رسـول الله صلى الله عليه وآله تيـاسروا؟ ففعلـوا، فمـروا بالرجل الـذي قال لهم صلى الله عليه وآله، فاسترشـدوه، فقـال لهـم الرجـل: لا أفعل حتى تصيبـوا من طعامي، ففعلوا، فأرشـدهم الطريق ونسـوا أن يقـرأوه السـلام من رسـول الله صلى الله عليه وآله، قـال: فقـال لهـم الرجـل ـ وهو عمـرو بـن الحمق رضي الله عنـه ـ: أظهـر النبـي عليـه السـلام بالمدينـة؟ فقالـوا: نعـم، فلحق بـه ولبث معه مـا شـاء الله، ثـم قـال له رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إرجـع إلى الموضـع الـذي منـه هاجـرت، فـإذا تولى أمـير المؤمنين عليه السلام فأتـه، فانـصرف الرجـل، حتـى إذا تولى أمير المؤمنين عليه السلام الكوفـة، أتـاه وقـام معه بالكوفـة، ثـم إنّ أمـير المؤمنين عليه السلام قـال لـه: «ألـك دار؟ قـال: نعـم، قال: بعهـا، واجعلهـا في الأزد، فـإني غـداً لـو غبـت لطلبـت، فتمنعـك الأزد حتـى تخـرج

من الكوفة متوجهاً إلى حصن الموصل، فتمر برجل مقعد فتقعد عنده ثم تستسقيه، فيسقيك، ويسألك عن شأنك فأخبره وادعه إلى الإسلام فإنه يسلم، وامسح بيدك على وركيه، فإن الله يمسح ما به وينهض قائماً فيتبعك، وتمر برجل أعمى على ظهر الطريق فتستقيه، فيسقيك ويسألك عن شأنك، فأخبره وادعه إلى الإسلام فإنه يسلم، وامسح يدك على عينيه، فإنَّ الله عزَّوجلَّ يعيده بصيراً فيتبعك، وهما يواريان بدنك في التراب، ثم يتبعك الخيل، فإذا صرت قريباً من الحصن في موضع كذا وكذا، رهقتك الخيل فأنزل عن فرسك ومر إلى الغار، فإنه يشترك في دمك فسقة من الجن والإنس».

ففعل ما قال أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فلما إنتهى إلى الحصن، قال للرجلين: إصعدوا فانظروا هل تريان شيئاً؟ قالا: نرى خيلاً مقبلة، فنزل عن فرسه ودخل الغار وعار فرسه، فلما دخل الغار ضربه أسود سالخ فيه. وجاءت الخيل، فلما رأوا فرسه عائراً قالوا: هذا فرسه وهو قريب، فطلبه الرجال فأصابوه في الغار، فكلما ضربوا أيديهم إلى شيء من جسمه تبعهم اللحم، فأتوا به معاوية فنصبه على رمح، وهو أول رأس نصب في الاسلام.

ثم إنَّ الكشي ذكر بعد ذلك كتاباً للحسين عليه السلام إلى معاوية، وفيه قوله عليه السلام: «**أو لستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه واصفر لونه بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلتَه جرأة على ربِّك واستخفافاً بذلك العهد..**»؟!

وقال الشيخ المفيد: حدثنا جعفر بن الحسين، عن محمد بن جعفر المؤدب: الأركان الأربعة سلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، هؤلاء الصحابة، ومن التابعين أويس بن أنيس القرني الذي يشفع في مثل ربيعة، ومضر، وعمرو بن الحمق الخزاعي. وذكر جعفر بن الحسين أنه كان من أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة سلمان من رسول الله صلى الله عليه وآله.

.. عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، رفعه قال: قال عمرو بن الحمق الخزاعي لأمير المؤمنين عليه السلام: والله ما جئتك لمال من الدنيا (تعطينيها)، ولا لالتماس سلطان ترفع به ذكري، إلاّ لأنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو الذرية التي بقيت لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار.. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم نوّر قلبه باليقين، واهده إلى الصراط المستقيم، ليت في شيعتي مائة مثلك»؛ وذكر في هذه الترجمة، ذيل الحديث المذكور، كتاب معاوية إليه يدعوه إلى بيعته، وأعطى له الأمان، وأنّ عمرو بن الحمق لم يجبه إلى ذلك، وذكر قصة بعث معاوية برأس عمرو بن الحمق إلى زوجته وما قالت هي في ذلك حتى طلبها معاوية فتكلمت معه فألقمته حجراً..

وبعد أن ذكر السيد الخوئي ذلك، قال: إنَّ ما تقدم من الروايات وإن كانت كلها ضعيفة السند، إلاّ أنها مستفيضة، على أنّ جلالة عمرو بن الحمق من الواضحات التي لا يعتريها شك، مضافاً إلى أنّ شهادة البرقي على أنه كان من شرطة الخميس فيها كفاية.[1]

وأقول: لا أدري كيف عدَّه الشيخ المفيد من التابعين في كتابه (الاختصاص :٧)، وقد عدّه في كتابه كتاب الجمل: ١٠٢، رقم ١٥ تحت عنوان (بيعة المهاجرين) للإمام عليٍّ عليه السلام واحداً من المهاجرين، وقال عنه: وهجرته إلى الله ورسوله معروفة، ومكانه منه صلى الله عليه وآله مشهور...؟! ولم يُنبه السيد الخوئي ولا محققو الاختصاص على هذا، فيما اجتمعت الكلمة على أنه من الصحابة.

رواياته :

من بركات صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله أن حفظ عنه أحاديث، وكان مما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من رجل أمَّن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريءٌ من القاتل،

١ . معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي المجلد ١٤ رقم ٨٩٠٢ ، والمصادر في المتن .

وإن كان كافراً». «من أمَّن رجلاً على نفسه فقتله، أُعطي لواء الغدر يوم القيامة».

قال شهاب وهو أحد رواة هذا الحديث: وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.[1]

وفي حديث: «من ائتمن على نفسه رجلاً فقتله». «تكون أو ستكون أو ستلقون فتنةٌ أسلم الناس فيها ـ أو خير الناس فيها ـ الجندُ الغربيُّ»، فلذلك قدمت عليكم مصر. «إذا أراد الله بعبد خيراً عَسَلَهُ». وفي مسند أحمد ٤ : ٢٠٠ قيل: وما عسله؟ قال: «يفتح الله عزَّ وجلَّ له عملاً صالحاً قبل موته، ثمَّ يقبضه عليه».

آية الجنّة :

وقد نسب إلى رسول الله ﷺ أنه قال لعمرو بن الحمق، كما عن الأجلح بن عبد الله الكندي: «يا عمرو، أتحبُّ أن أريك آية الجنّة؟ قال: نعم يا رسول الله. فمرَّ عليٌّ عليه السلام، فقال: هذا وقومه آية الجنّة»! فلما قتل عثمان وبايع الناس عليّاً عليه السلام لزمه، فكان معه حتى أصيب، ثم كتب معاوية في طلبه، وبعث من يأتيه به...[2]

تمصير الكوفة :

تطويراً للبلاد، وتنميةً للعمران، وتوسعةً للعباد، وتشجيعاً للمسلمين في الانتشار والسكن في البلاد المفتوحة، والاستفادة مما فيها من خيرات، وتبليغاً للإسلام، وإنشاءً لقواعد عسكرية قريبة ممن يريد الكيد للأُمّة المسلمة..، فلعل لذلك ولغيره؛ تمَّ تمصير الكوفة والبصرة في العراق، والفسطاط في بلاد مصر .. كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة ... وأنَّ العرب بمنزلة الإبل لا

١ . الأنفال : ٥٨ .

٢ . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام ابن منظور ١٩ : ٢٠٢ ، رقم ١٢٥ .

يصلحها إلاّ ما يصلح الإبل، فارتد لهم موضعاً عدناً، ولا تجعل بيني وبينهم بحراً... فكانت الكوفة أرضاً انحدرت عن الفلاة، وارتفعت عن المباق .. فاختطّها، وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم، وبنى مسجدها، وذلك في سنة سبع عشرة أو في سنة ثمان عشرة هجرية، وحينما اكتمل تمصيرها، توافد عليها جمع من المسلمين للسكنى والاستيطان، فكان هذا الصحابي عمرو بن الحمق واحداً ممن نزل الكوفة حتى عدَّ من ساكنيها، إلاّ أنه وقبل أن يتّخذها وطناً دائماً ومسكناً ثابتاً له، غادرها إلى مصر، فحطَّ رحله فيها برهةً من الزمن.

وقد اختلف القول في وقت عودته من مصر واتخاذه الكوفة وطناً دائماً، وربما يكون بعد وقعة الجمل، حين اتخذها الإمامُ عليٌّ عليه السلام مقرًّا له؛ لكونها قريبة مما حدث من وقائع هنا وهناك .. وفي قول أنَّ عمرو بن الحمق سكن الشام فترةً، وقد يكون ذلك في وقت الفتوح، التي كانت الشام قاعدةً لها؛ ففي الاستيعاب: وسكن الشام، ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها.[1]

ولاة سيّئون:

وبقي عمرو بن الحمق الخُزاعي في الكوفة، حتى الخلافة الثالثة حين تولاها عثمان بن عفان (٢٣هـ ـ ٣٥هـ)؛ ليتعاقب على أمر الكوفة ولاة سيئون، بهم اضطربت أوضاعها، وتردّت أحوالها، وفقدت أمانها، وبهم وبأتباعهم انتُهكت الشريعة..، وللعلم ليس هذا كان مختصًّا بالكوفة، إنما هو فتنة وابتلاء عمَّ الساحة المسلمة، وظلّت آثار ذلك خطيرةً ومؤثرة عبر التاريخ، ومازالت كذلك، ونظراً للدور الكبير والواسع الذي قامت به جموع من المصريين بقيادة عدد من الصحابة، أبرزهم الصحابي عمرو بن الحمق نصحاً وتحذيراً لسلطة الخلافة ومن والاها من مغبة الاستمرار بسنّتهم السيئة وطريقة إدارتهم لشؤون الخلافة في الأقاليم والولايات، حتى باءت

١ . انظر فتوح البلدان ٢٧٠ ـ ٢٧٢ ؛ الاستيعاب : ٥١٥ وغيرهما .

بالفشل لا فقط جهود الثائرين، بل لم توفق حتى جهود الناصحين الآخرين، الذين سجلوا مواقف جليلة لدرء الفتنة بإزالة أسبابها؛ حين اصطدمت بمواقف الخلافة المضطربة وغير المدركة لخطورة بقائها في سدّة الحكم، ولما تقطعه من عهود لا نيّة لها بتنفيذها، أو أنها لم تكن جادةً بالإصلاح، ولا بتلبية شيءٍ من نداآت المخلصين، حتى بُحّت أصواتهم، لتهدئة الساحة وامتصاص النقمة، بل ظلّت إما متجاهلة لمطاليب الثوار أو مسوّفة لها، غير مهتمة أو مدركة للعواقب، وأحياناً مستخفّة بها، فضلاً عن كونها غير مكترثة لجهود الوساطات، التي راحت بنفسها تناشدها التدخل وإنهاء الأزمات، وإعادة الثوار إلى بلدانهم بعيداً عن المدينة؛ مقر الخلافة، ولم تفِ بأي اتفاق أو عهد توصل إليه الوسطاء مع المعارضين، حتى وصلت الأمور إلى خاتمة أودت بحياة الخليفة ...! وقد كثرت الأخبار في هذا الحادث، ولا يجد المتابع مصدراً تاريخيًّا إلاّ وقد تعرض لما وقع، مما يجعلنا نختار أهم ما يتعلق بهذا الصحابي الجليل وبشكل مختصر، وبما يبين لنا أسباب ونتائج تحركه ومن معه، إضافةً لما ذكرناه أعلاه ...

فمما رواه البلاذري: .. أنَّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نقمها الصحابة من تأمير بني أمية ولاسيما الفساق منهم وأرباب السفه وقلة الدين، وإخراج مال الفيء إليهم وما جرى في أمر عمار وأبي ذر وعبدالله بن مسعود، وغير ذلك من الأمور التي جرت في أواخر خلافته..

فقد عَزل سعدَ بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة سنة ٢٥ هجرية؛ ليجعل بدلاً عنه والياً عليها أخاه لأُمّه أروى بنت كريز الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الذي أساء كثيراً، ومن ذلك ما اضطر عدداً من أشراف الكوفة، وكان منهم عمرو بن الحمق، أن يشكوه إلى الخليفة حين ذهبوا إليه في المدينة، ويُقال: إنه ردّهم في مرّتهم هذه خائبين، فلما رجعوا، أتاهم كلُّ موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم، ثمَّ قدموا على عثمان، وبعد أن سلموا عليه وردَّ عليهم السلام، قال: تكلموا لحاجتكم، فقالوا: إننا أتيناك في أمر

الوليد بن عقبة. قال عثمان: وما شأن الوليد؟ فقالوا: إنك وليته علينا فأساء السيرة، ثم إننا دخلنا عليه في منزله وهو يشرب الخمر، فإن رأيت أن تعزله عنا! فقال عثمان: سبحان الله؛ ما أظنُّ هذا كما تقولون! فقالوا: بلى، قد كان ذلك، ولا نشهد عليه إلاّ بما رأينا! فتقدم رجل من أهل الكوفة يكنى أبا زينب فقال: بلى يا أمير المؤمنين أنا دخلت عليه ومعي قوم يشهدون بذلك، ثم إنهم وجدوه يقيء الخمر وليس يعقل شيئاً من أمره فأخذت خاتمه من إصبعه، وها هو في يدي. فأرسل عثمان إلى علي عليه السلام فدعاه وأخبره بذلك فقال: ما الرأي عندك في هذا يا أبا الحسن؟ فقال علي عليه السلام: «الرأي عندي أن تبعث إلى صاحبك فتخبره وتدعو بالشهود، فإذا شهدوا عليه في وجهه أقمت عليه الحدّ». فأرسل عثمان إلى الكوفة فجيء بالوليد بن عقبة، واجتمع الناس وتقدم أبو زينب ومن معه من أهل الكوفة فشهدوا عليه في وجهه بشرب الخمر، قال: فأمر به عثمان، فجرد عن ثيابه ثم جلد الحدّ، وعزله عن الكوفة وولي مكانه سعيد بن العاص، ثم كتب عثمان إلى أهل الكوفة: ... أما بعد! فإنَّ رجالاً فيكم قد قدموا إليَّ من قبلُ، فشكوا الوليد بن عقبة وشهدوا عليه بما شهدوا، فإن يكونوا صدقوا فقد قضينا ما كان علينا، وإن يكونوا كذبوا فالله حسيبهم، فاتقوا الله عباد الله، ووازروا أمراءكم وناصحوهم ولا تبغوا عليهم، وإياكم والقذف والبهت وإن تحقق الأمر السيء، وقد وليت عليكم أشرف ما علمت فأحسنوا إليه، فإني قد أمرته بالإحسان إليكم، ... فأقبل سعيد بن العاص حتى دخل الكوفة، ثم أقبل إلى المسجد الأعظم فدخله فصلّى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر وقد نودي له في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل الكوفة، إنَّ أحبَّكم إليَّ أقرأكم لكتاب الله، أفقهكم في دين الله، فليكن أولئك من ألافي وأخداني، وإنَّ أبغضكم إليَّ المسرف على نفسه، المصر على ذنبه الذي لا هم له إلاّ المضاحيك والأباطيل، فلا يقربني أولئك. ثم نزل عن المنبر ودعا بعبد الرحمن بن خنيس الأسدي، فولاه الشرطة وانصرف إلى دار العمارة. فكان أشراف أهل الكوفة وقراؤهم يأتونه ويحدثونه وينصرفون عنه، وهم مع ذلك لا يرون

منـه إلاّ مـا يحبـون مـن حسـن السـيرة وبسـط العـدل ولـين الجانـب، ... وبينا سـعيد بن العـاص ذات يـوم في مسـجد الكوفة وقـت صلاة العصر وعنـده وجـوه أهـل الكوفـة، فـكان بينهـم كلام أدّى إلى نـزاع، فكتـب سـعيد بـن العـاص من سـاعته بذلـك إلى عثمان كتابـاً في أولـه: ... أمـا بعـد! فـإني أخـبر أمـير المؤمنين أني مـا أملـك من الكوفة شـيئاً مع الأشـتر النخعـي، ومعـه قوم يزعمون أنهـم القراء وهم السـفهاء، فهم يـردون علي أمري، ويعيبـون عـليَّ صالـح أعمالي، وأنَّ الأشـتر كان بينـه وبين صاحب شرطـي كلام ومراجعة في شيء لا أصـل لـه، فأغـرى بـه الأشـتر سـفهاء أصحابـه وأشرار أهل المصر حتـى وثبوا عليـه وأنـا جالـس، فضربـوه حتـى وقـع لجنبـه وهو لمـا بـه... فكتب إليـه أن سـيرهم إلى الشام...[1]

وبذلـك بـدأت علامـات الفتنـة تظهـر عـلى السـطح، بنفـي هـذه الصفـوة المؤمنة إلى الشـام: إنهـم صلحاء الكوفـة، الذين عرفوا بقرائهـا ونجبائها، وأهل الـرأي فيها! وهم... وكان مـن جملتهـم عمرو بـن الحمق الخزاعـي،.. وهناك في الشـام دار بينهـم وبين معاوية كلام طويـل، انتهـى إلى أن يفـرض عليهـم الإقامة، فلم يزالـوا مقيمين بالشـام، وقد وكّلَ بهم قومـاً يحفظونهـم أن لا يبرحوا..

وكثرت الشكايات :

وحجَّ عثـمان في تلك السـنة، فلما قـدم من حجّه إلى المدينـة قدم عليه قـوم من الكوفة، فعاتبـوه على تسـييره الأشـتر وأصحابه إلى الشـام، ثم شـكوا عاملهم سـعيد بـن العاص، وجـاء أقـوام آخـرون من البصرة فشـكوا عاملهم عبـد الله بـن عامر بـن كريـز، وكثـرت الشـكايات إلى عثـمان مـن عماله من جميـع البلاد. فأرسـل إلى جميع عماله فأشـخصهم إليه مـن جميع البـلاد، ثم أقبـل عليهم فقال: يا هـؤلاء! إنه قد كثرت شـكايات النـاس منكم،

١ . انظر كتاب الفتوح، لابن الأعثم ٢ : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

فأما القريب فقد بادهني وأما البعيد فما نالوا جهداً، فماذا عندكم من الرأي؟ فتكلم عبد الله بن عامر بن كريز وقال: يا أمير المؤمنين! إنه ليس يرضي الناس عنك إلاّ ما أسخطهم عليك، فإنَّ الناس إنما نقموا عليك لأجل هذا المال، فأعطهم إياه حتى يرضوا به عنك ولا يشكوك أحد بعد ذلك. ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّ لك على الناس حقاً في كتاب الله ولهم عليك مثل ذلك، فادفع إليهم حقوقهم واستوف منهم حقك،... ثم تكلم سعيد بن العاص فقال: لا والله يا أمير المؤمنين! ما دعا الناس أن نقموا عليك إلاّ الحمام والفراغ من الحروب، وذلك أنّ العرب اليوم جلست في المحافل وتحدثت بالأحاديث، فاشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدو حتى لا يرجع أحدهم، إذا رجع إلى منزله قد أهمته نفسه لا يتفرغ لعيب الأمراء. ثم تكلم معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! إنك قد جمعتنا وذكرت أنه قد كثرت الشكايات منا، وأنت قد ملكتنا رقاب الناس، وجعلتنا أوتاداً في الأرض، فخذ كل واحد منا بما يليه من عمله حتى نكفيك ما قبله، ولا يكون ههنا شكاية أحد ولا ينقم أحد عليك. فعلم عثمان أنَّ الرأي ما قال معاوية، فعزم على أن يرد عماله إلى بلادهم وأعمالهم، ثم أوصاهم وعهد إليهم وحذرهم الشكايات،... فلم يزدادوا على الناس إلاّ غلظة وجنفاً وجوراً في الأحكام وعدولاً عن السنة.

ولم يزدد الخليفة عثمان إلاّ انتهاكاً لحقوق كلِّ معترض وناصح له، فتراه يجلد هذا وينفي ذاك، كما جاءت به الأخبار.. ولما كثر ضغط الناس على الخلافة وسلطتها في الشام أعادت بعض أولئك المنفين فيما أبقت آخرين منهم تحت أعينها، فلم تطلق سراحهم...

وفي خبر أنَّ معاوية كتب إلى عثمان: ... أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إليَّ أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم ويأتون الناس زعموا من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كلُّ الناس يعلم ما يريدون وإنما يريدون فرقة

ويقربـون فتنـة قـد أثقلهـم الإسـلام وأضجرهـم، وتمكنـت رقى الشـيطان مـن قلوبهم، فقـد أفسـدوا كثـيراً مـن النـاس ممن كانـوا بـين ظهرانيهم مـن أهـل الكوفة، ولسـت آمن إن أقامـوا وسـط أهـل الشـام أن يغروهم بسـحرهم وفجورهـم، فارددهـم إلى مصرهم، فلتكـن دارهـم في مصرهـم الـذي نجم فيـه نفاقهم والسـلام.

فكتـب إليـه عثـمان يأمـره أن يردهم إلى سـعيد بن العـاص بالكوفـة فردهم إليـه، فلم يكونـوا إلاّ أطلـق ألسـنة منهم حين رجعـوا. وكتب سـعيد إلى عثمان يضـجُّ منهم، فكتب عثمان إلى سـعيد أن سـيرهم إلى الشـام وألزمهـم الدروب.

وفي كتـاب لـه: سـيرهم إلى عبدالرحمـن بـن خالد بـن الوليـد وكان أمـيراً على حمص. وكتـب إلى الأشـتر وأصحابـه أما بعد، فـإني قد سـيرتكم إلى حمص، فإذا أتاكـم كتابي هذا، فاخرجـوا إليهـا، فإنكـم لسـتم تألـون الإسـلام وأهلـه شرًّا، والسـلام. فلـما قرأ الأشـتر الكتـاب قـال: اللهـم أسـوأنا نظـراً للرعيـة، وأعملنـا فيهـم بالمعصيـة فعجّل لـه النقمة، وسـار الأشـتر وأصحابـه إلى حمـص، فأنزلهـم عبدالرحمـن بـن خالـد السـاحل، وأجرى عليهـم رزقـاً. وأمـا هـؤلاء النفـر فهـم كـما عـن أبي إسـحاق الهمـداني قـال: اجتمـع نفر بالكوفـة يطعنـون عـلى عثـمان مـن أشراف أهـل العـراق، وهـم: ... وعمـرو بـن الحمق الخزاعي.

مـن هـذا يتضح أنهم سُـيروا أولاً إلى الشـام، ثمَّ أُرجعـوا إلى الكوفة بعـد كتاب معاوية لعثمان، ليُنفـوا إلى حمص، قبل أن يعـودوا إلى الكوفة.

وكتبوا نصائح وتحذيراً من الفتنة :

فـما أن عـاد بعضهـم أو كلّهـم ومنهـم عمـرو بـن الحمق الخزاعـي حتـى جلسـوا مـع نفـر آخريـن مـن أهل الكوفة منهـم ... وحجـر بـن عـدي... وسـليمان بـن صرد الخزاعي، ورجـال كثـير مـن أهل الكوفة ورؤسـائهم، فكتبـوا إلى عثـمان بـن عفـان: ...

لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملإ المسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك! فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد! فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنة، وأنَّ لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم، ونصرك الظالم، اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك، يا عثمان! فاتق الله والزم سنة الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا، وقسم فيئنا بين أشرارنا والاستبدال عنا، واتخاذك بطانة من الطلقاء وبن الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطلعت الله واتبعت ما في كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله وجانبت الشر وأهله وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منا وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء، فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحق، فإن تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحقِّ أنصاراً وأعواناً، وإلاّ فلا تلوم إلاّ نفسك، فإننا لن نصالحك على البدعة وترك السنة، ولن نجد عند الله عذراً إن تركنا أمره لطاعتك، ولن نعصي الله فيما يرضيك، هو أعز في أنفسنا وأجل من ذلك، نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً، ونستعينه وكفى بالله ظهيراً، راجع الله بك إلى طاعته، يعصمك بتقواه من معصيته، والسلام.

فلما كتبوا الكتاب وفرغوا منه قال رجل منهم: من يبلغه عنا كتابنا؟ فوالله إن ما نرى أحداً يجترئ على ذلك، فقام رجل من عنزة آدم ممشوق فقال: والله ما يبلغ هذا الكتاب إلاّ رجل لا يبالي أضرب أم حبس أم قتل أم نفي أم حرم، فأيكم عزم على أن يصيبه خصلة من هذه الخصال فليأخذه فقال القوم: ما ههنا أحد يحب أن يبتلي بخصلة من هذه الخصال، فقال العنزي: هاتوا كتابكم، فوالله إني لا عافية لي، وإن ابتليت فما أنا يائس أن يرزقني ربّي صبراً وأجراً، فدفعوا إليه كتابهم، وبلغ ذلك كعب بن عبيدة النهدي وكان من المتعبدين، فقال: والله لأكتبن إلى عثمان كتاباً باسمي واسم أبي، بلغ ذلك من عنده ما بلغ! ثم كتب إليه: ... لعبد الله عثمان أمير المؤمنين

مـن كعـب بـن عبيـدة، أما بعـد! فـإني نذير لـك مـن الفتنـة، متخـوف عليك فـراق هذه الأمـة، وذلـك أنك قـد نفيـت خيارهـم ووليت أشرارهـم، وقسـمت فيأهـم في عدوهم واسـتأثرت بفضلهـم، ومزقت كتابهـم، وحميت قطر السـماء ونبـت الأرض، وحملت بني أبيـك عـلى رقاب الناس حتـى قد أوغـرت صدورهم واخـترت عداوتهـم، ولعمري لئن فعلـت ذلـك فإنـك تعلم أنـك إذا فعلـت ذلـك وتكرمت فإنـما تفعله مـن فيئنـا وبلادنا، والله حسـيبك يحكـم بيننـا وبينـك، وإن أنـت أبيـت وعنيـت قتلنا وأذانـا ولم تفعـل، فإننا نسـتعين الله ونسـتجيره مـن ظلمـك لنا بكرةً وعشـياً، والسـلام.

ثـم جـاء كعب بن عبيـدة بكتابه هـذا إلى العنزي وقد ركـب يريد المدينة، فقـال: أحبُّ أن تدفـع كتـابي هذا إلى عثمان، فـإنَّ فيه نصيحةً لـه وحثًا على الإحسـان إلى الرعية والكفِّ عـن ظلمهـا، فقـال: أفعل ذلك، ثم أخـذ الكتاب منه ومـضى إلى المدينـة. ورجع كعب بن عبيـدة حتـى دخل المسـجد الأعظم، فجعـل يحـدث أصحابه بما كتـب إلى عثـمان، فقالوا: والله يـا هـذا لقد اجترأت وعرضت نفسـك لسـطوة هـذا الرجـل! فقـال: لا عليكم فإني أرجـو العافيـة والأجـر العظيم، ولكـن ألا أخبركـم بمن هو أجـرأ مني؟ قالـوا: بلى ومن ذلـك؟ فقـال: الـذي ذهـب بالكتاب، فقالـوا: بلى صدقـت، إنه لكذلـك، وإنـا لنرجو أن يكـون أعظـم هـذا المصر أجـراً عنـد الله غداً. وقـدم العنـزي على عثـمان بالمدينـة، فدخل وسـلم عليـه ثـم ناولـه الكتـاب الأول وعنده نفـر من أهـل المدينة، فلـما قرأه عثـمان ارتد لونـه وتغـير وجهه، ثم قـال: من كتـب إليَّ هذا الكتـاب؟ فقـال العنزي: كتبـه إليك ناس كثـير مـن صلحـاء أهل الكوفة وقرائها وأهـل الدين والفضـل، فقال عثـمان: كذبت، إنما كتبـه السـفهاء وأهل البغي والحسـد، فأخبرني من هـم؟ فقال العنزي: ما أنـا بفاعل، فقال عثـمان: إذاً والله أوجـع جنبك وأطيل حبسـك، فقال العنـزي: والله لقد جئتـك وأنا أعلم أني لا أسـلم منـك، فقـال عثمان: جـردوه! فقال العنزي: وهـذا كتاب آخر فاقـرأه من قبل أن تجـردني، فقـال عثـمان: آت بـه، فناولـه إيـاه، فلما قـرأه قال: مَـن كعب بن عبيـدة هذا؟ قـال العنـزي: إيـه! قد نسـب لك نفسـه، قال عثـمان: فمن أي قبيـل هو؟ قـال العنزي: ما

أنـا مخبرك عنـه إلاّ ما أخبرك عن نفسـه، قـال: فالتفت عثـمان إلى كثير بن شـهاب الحارثي فقـال: يـا كثـير! هل تعرف كعـب بن عبيدة قـال كثير: نعم يـا أمير المؤمنين! هـو رجل من بنـي نهد، قـال: فأمر عثـمان بالعنزي، فجـردوه من ثيابـه ليضرب.

فقال عـليّ بـن أبي طالـب عليه السلام: «**لماذا يضرب هـذا الرجل؟ إنما هو رسـول جـاء بكتاب وأبلغـك رسـالة حملها**»؛ فلـم يجب عليه في هـذا ضرب. فقـال عثمان: أفترى أن أحبسـه؟ قـال: «**لا، ولا يجـب عليه الحبس**».

فخـلى عثـمان عـن العنـزي، وانـصرف إلى الكوفة وأصحابه لا يشـكون أنـه قد حبس أوضرب أو قتـل، قـال: فلـم يشـعروا بـه إلاّ وقد طلـع عليهم، فـما بقـي في الكوفة رجل مذكـور إلاّ أتـاه ممـن كان عـلى رأيه، ثم سـألوه عن حاله فأخبرهـم بما قال وما قيـل له، ثم أخبرهـم بصنع عـلي عليه السلام، فعجـب أهل الكوفة من ذلك ودعـوا لعلي عليه السلام بخير وشـكروه عـلى مـا فعلـه. وكتـب عثـمان إلى سـعيد بـن العـاص: أن تـسرح إلي كعـب بن عبيـدة مع سـائق عنيـف حتى يقـدم عليَّ به والسـلام.

فلـما ورد كتـاب عثـمان على سـعيد بـن العـاص ونظر فيـه أرسـل إلى كعب بـن عبيدة فشـدّه في وثـاق ووجـه بـه إلى عثـمان مـع رجـل فـظ غليظ، فلـما صـار في بعـض الطريق جعـل الرجـل ينظـر إلى صـلاة كعـب بن عبيـدة وتسـبيحه واجتهـاده، فقـال: إنـا لله وإنا إليـه راجعـون، بعثـت مع رجـل مثل هـذا أهديـه إلى القتل والعقوبـة الشـديدة أو الحبس الطويـل، ثـم أقبـل بكعـب بـن عبيـدة حتـى أدخلـه عـلى عثـمان. فلما سـلم عليـه، جعل عثـمان ينظـر إليه ثـم قال: (تسـمع بالمعيـدي خير مـن أن تراه)! أنـت تعلمني الحـقَّ، وقد قرأت القرآن وأنـت في صلـب أب مـشرك؟! قـال كعب: على رسـلك يـا بن عفـان، فإنَّ كتـاب الله لـو كان لـلأول دون الآخر لم يبـق للآخـر شيء، ولكن القرآن لـلأول والآخر. فقـال عثـمان: والله مـا أراك تـدري أيـن ربُّـك! قـال: بلى يـا عثمان هـو لي ولـك بالمرصاد! فقـال مـروان: يا أمـير المؤمنين حلمك عـلى مثل هذا وأصحابـه أطمع فيك النـاس، فقال

كعب: يا عثمان! إنَّ هذا وأصحابه أغمروك وأغرونا بك، قال عثمان: جردوه، فجردوه و ضربه عشرين سوطاً، ثم أمر به فرد إلى الكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد، فإذا قدم عليك كعب بن عبيدة هذا فوجه به مع رجل فظ غليظ إلى جبال كذا، فليكن منفياً عن بلده وقراره. قال: فلما قدم كعب على سعيد بن العاص دعا به فضمه إلى رجل من أصحابه يقال له بكير بن حمران الأحمري فخرج به حتى جعله كذلك حيث أمر عثمان. وفي خبر: وكتب الخليفة عثمان إلى سعيد بن العاص أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً، ويحول ديوانه إلى الري. ففعل.[1]

إلى مصر :

ولعلَّ هذا الصحابي عمرو بن الحمق رأى ذلك كلَّه، ورأى المصلحة أن ينتقل إلى مصر؛ بعد أن راحت وفود الاحتجاج تصل المدينة وتتزايد من الأقاليم، وتستنكر الفساد والمظالم، تلك التي تمارسها سلطة الخلافة أو بطانتها بقيادة مروان بن الحكم وأمثاله، فقد طغوا في البلاد وبالتالي أكثروا فيها الفساد، فلطالما يكون وراء كلِّ طغيان فساد، ولنعم ما قاله ابن عاشور عن الطغيان والفساد في تفسير الآيتين ١١ ـ ١٢ من سورة الفجر: ﴿الَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ * فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾.

لأن فساد البعض آئل إلى فساد الجميع بسَنِّ سنن السوء، ولذلك تسبب عليه ما فرع عنه من قوله: ﴿فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾. لأنَّ الطغيان يجرِّيء صاحبه على دحض حقوق الناس فهو من جهة يكون قدوة سُوءٍ لأمثاله ومَلئِهِ، فكلّ واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم؛ لأنَّ به اختلال الشرائع الإلاهيّة والقوانين الوضعية الصالحة وهو من جهة أخرى يثير الحفائظ والضغائن في المطْغيّ عليه من الرعية فيُضمرون السوء للطاغين، وتنطوي نفوسهم على كراهية ولاة الأمور وتربص

١ . انظر الفتوح ٣ : ٣٨٩ ؛ وتاريخ الطبري ٤ : ٣٢٦ وغيرهما .

الدوائـر بهـا، فيكونُـون لها أعـداء غير مخلـصي الضمائر، ويكـون رجال الدولة متوجّسـين منهـم خيفـة، فيظنون بهم السـوء في كلّ حال ويحْذَرُونهـم ، فتتوزع قوة الأمّـة على أفرادها عـوض أن تّحـد على أعدائهـا، فتصبح للأمة أعـداء في الخـارج وأعـداء في الداخل وذلك يفـضي إلى فسـاد عظيم، فلا جـرم كان الطغيان سـبباً لكثرة الفسـاد...[1]

ويبـدو لي أنَّ هـذه المخاطـر التـي تترتـب عـلى مـا وقـع في الخلافـة الثلاثـة مـن ظلـم وإقصـاء للآخرين، وتقديم لغـير الجديرين وتوليتهم أمور النـاس، وإعطائهم ما يريدون، مقابـل حرمـان غيرهـم ...، وعدم وفاء السـلطة بـما تقطعه على نفسـها من عهـود بالتغيير والتصحيـح، فضـلاً عن الخـداع والمراوغـة .. دفعـت الرعية مـن أمصار عديـدة؛ دفعت البصريـين، والكوفيـين، والمصريـين؛ لأن يعلنـوا عـن شـجبهم ورفضهـم ومعارضتهم، التـي تدرّجت في شـدّتها .. وكلُّ تلك المخاطـر والوعود، وهذه المواقـف المعارضة نجدها في أخبـار المؤرخـين، والتـي منهـا أنَّ هـذا الصحـابي الجليل عمرو بـن الحمـق كان واحداً مـن ثلاثـة أو أربعـة قـادوا حركة المعترضـين المصريين، وقد كان عددهم سـتمائة شـخص أو يزيـدون، في توجههـم نحو مقر الخلافـة في المدينة المنورة، وهـم في طريقهم، إذ بمحمد بـن مسـلمة، إمـا خـرج بنفسـه للقادمين مـن مـصر أو بطلب مـن الخليفـة عثـمان، كما في روايـةٍ عـن جابـر بـن عبـد الله؛ أنَّ المصريـين لمـا أقبلـوا من مـصر يريـدون عثـمان ونزلوا بذي خشـب، دعـا عثمان محمد بن مسـلمة، فقـال: اذهب إليهـم فارددهم عنـي وأعطهم الرضـا، وأخبرهـم أني فاعـل بالأمـور التـي طلبوا ونـازع عن كـذا بالأمور التـي تكلموا فيهـا. فركـب محمـد بـن مسـلمة إليهـم إلى ذي خشـب. قـال جابر بـن عبد الله: وأرسـل معـه عثـمان خمسـين راكباً مـن الأنصار أنـا فيهـم .. وفي روايـة محمد بن مسـلمة: خرجت في نفـر من قومـي إلى المصريين، وكان رؤسـاؤهم أربعـة: عبد الرحمن بـن عُديس البلوي، وسـودان ابـن حُمـران المـرادي، وعمـرو بن الحمـق الخزاعي ـ وقـد كان هذا الإسـم غلب

١ . تفسير التحرير والتنوير .

حتى كان يقال: جيش بن الحمق ـ وابن النباع أو البياع. فدخلت عليهم، وهم في خباء لهم أربعتهم، ورأيت الناس لهم تبعاً، فعظمت حقَّ عثمان، وما في رقابهم من البيعة وخوّفتهم بالفتنة، وأعلمتهم أنَّ في قتله اختلافاً وأمراً عظيماً، فلا تكونوا أول من فتحه، وأنه ينزع عن هذه الخصال التي نقمتم منها عليه، وأنا ضامن لذلك. قال القوم: فإن لم ينزع؟ قلت: فأمركم إليكم، فانصرف القوم وهم راضون، فرجعتُ إلى عثمان، فقلت: أخلني فأخلاني، فقلت: الله الله يا عثمان في نفسك، إنَّ هؤلاء القوم إنما قدموا يريدون دمك، وأنت ترى خذلان أصحابك لك، لا بل هم يقوون عدوك عليك، قال: فأعطاني الرضا، وجزاني خيراً. ثم خرجت من عنده.

كتابُ غدر!

وهم عائدون إلى مصر، إذ بشخص يغذُّ السير، وقد أثار ارتيابهم فيه، فأوقفوه ووجدوا عنده كتاب أمر من سلطة الخلافة إلى عاملها على مصر أن يُنزل عقاب جلد وحلق وحبس وصلب بمن كان يقود المصريين الثائرين ضدَّ الخليفة: عمرو بن الحمق الخُزاعي ومن معه، فاضطروا للعودة إلى المدينة مستصحبين معهم الكتاب المذكور وحامله، وكلاهما خير دليل على عدم وفاء الخليفة بعهوده لمحمد بن مسلمة، وسرعة نقضها .. وهنا نعود إلى مبعوث الخليفة محمد بن مسلمة؛ ليواصل قوله:

وقد تكلّم عثمان برجوع المصريين، وذكر أنهم جاءوا لأمر، فبلغهم غيره فانصرفوا، فأردت أن آتيه فأعنِّفه بهما، ثم سكتّ فإذا قائل يقول: قد قدم المصريون وهم بالسُّويداء، قلت: أحقّ ما تقول؟ قال: نعم، قال: فأرسل إليّ عثمان. وإذا الخبر قد جاءه، وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خشب، فقال: يا أبا عبد الرّحمن هؤلاء القوم قد رجعوا، فما الرأي فيهم؟ قلت: والله ما أدري؛ إلاّ أني أظنُّ أنهم لم يرجعوا لخير. قال: فارجع إليهم فاردهم، قلت: لا، والله ما أنا بفاعل، قال: ولِمَ؟ قلتُ: لأني ضمنت لهم أموراً تنزع عنها، فلم تنزع عن حرف واحد منها. فقال: الله المستعان. وخرجت

وقدم القوم وحلوا بالأسواف، وحصروا عثمان. وجاءني عبد الرحمن بن عديس ومع سودان بن حمران وصاحباه، فقالوا: يا أبا عبد الرّحمن، ألم تعلم أنّك كلّمتنا ورددتنا، وزعمتَ أنّ صاحبنا نازعٌ عمّا نكره؟ فقلت: بلى، فإذا هم يخرجون إليّ صحيفة صغيرة؛ قصبة من رصاص؛ .. وجدنا جملاً من إبل الصدقة عليه غلام عثمان، فأخذنا متاعه ففتّشناه، فوجدنا فيه هذا الكتاب؛ فإذا فيه بعد البسملة: أما بعد؛ فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس، فاجلده مائة جلدة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى يأتيك أمري؛ وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمران مثل ذلك؛ وعروة بن النِّباع الليثيّ مثل ذلك. فقلت: وما يدريكم أنّ عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيفتات مروان على عثمان بهذا؟! فهذا شرّ؛ فيخرج نفسه من هذا الأمر. ثم قالوا: انطلق معنا إليه، فقد كلمنا عليًّا عليه السلام، ووعدنا أن يكلّمه إذا صلّى الظهر. وجئنا سعد بن أبي وقّاص، فقال: لا أدخل في أمركم. وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، فقال مثل هذا. فأين وعدَكم عليٌّ عليه السلام؟ قالوا: وعدنا إذا صلّى الظهر أن يدخل عليه.. فصليتُ مع عليٍّ عليه السلام، ثم دخلت أنا وعليٌّ عليه السلام عليه، فقلنا: إنَّ هؤلاء المصريين بالباب، فأذن لهم، ومروان عنده جالس. فقال مروان: دعني جعلتُ فداك أكلّمهم! فقال عثمان: فضّ الله فاك! اخرج عني؛ وما كلامك في هذا الأمر! فخرج مروان. وأقبل عليٌّ عليه السلام عليه؛ وقد أنهى المصريُّون إليه مثل الذي أنهوا إليّ. فجعل عليٌّ عليه السلام يخبره ما وجدوا في كتابهم. فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شوور فيه. فقلتُ: ـ وما زال القائل محمد بن مسلمة ـ والله إنه لصادق؛ ولكن هذا عمل مروان.

فقال عليٌّ عليه السلام: «**فأدخلهم عليك؛ فليسمعوا عذرك**».

ثم أقبل عثمان على عليٍّ عليه السلام، فقال: إنّ لي قرابةً ورحماً؛ والله لو كنتَ في هذه الحلقة لحللتُها عنك؛ فاخرج إليهم، فكلِّمهم؛ فإنهم يسمعون منك.

قال عليٌّ عليه السلام: «**والله ما أنا بفاعل؛ ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم**»؛ فادخلوا.

قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ، فما سلّموا عليه بالخلافة، فعرفتُ أنه الشرّ بعينه؛ قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام، قال: فتكلَّم القوم وقد قدّموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمّة، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين؛ فإذا قيل له في ذلك، قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدنية، وما خالف به صاحبيه. فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلاّ دمك أو تنزع؛ فردّنا عليٌّ عليه السلام ومحمد بن مسلمة، وضمن لنا محمد النزوع عن كلّ ما تكلمنا فيه ـ ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة، فقالوا: هل قلتَ ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم ـ ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزّوجلّ عليك، ويكون حجّةً لنا بعد حجّةٍ حتى إذا كنا بالبُويب، أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا؛ وهذا كتابك! قال: فحمد الله عثمان وأثنى عليه، ثم قال: والله ما كتبتُ ولا أمرتُ، ولا شوورتُ ولا علمتُ. فقلتُ وعليٌّ عليه السلام جميعاً: قد صدق. فاستراح إليها عثمان! فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري، قالوا: أفيُجترَأ عليك، فُيبعث غلامُك وجملٌ من صدقات المسلمين، ويُنقش على خاتمك، ويُكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم؟! قال: نعم، قالوا: فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه!

قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزّوجلّ. قال: وكثرت الأصوات واللغط، فما كنتُ أظنّ أنهم يخرجون حتى يواثبوه. قال: وقام عليّ عليه السلام فخرج، قال: فلمّا قام عليّ عليه السلام قمتُ. وقال للمصريين: اخرجوا، فخرجوا. ورجعتُ إلى منزلي ورجع عليٌّ عليه السلام إلى منزله ...

وفي خبر آخر: ... فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: هذا مفتعل، قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك! قال: أجل؛ ولكنّه كتبه بغير أمري، قالوا: فإنّ الرسول

الـذي وجدنـا معـه الكتاب غلامـك؛ قال: أجـل؛ ولكنه خرج بغـير إذني، قالـوا: فالجمل جملـك، قـال: أجـل؛ ولكنـه أخذ بغـير علمي، قالـوا: مـا أنـت إلاّ صـادق أو كاذب؛ فإن كنـت كاذبـاً فقـد اسـتحققت الخلع لما أمـرت به من سـفك دمائنا بغـير حقّهـا، وإن كنت صادقـاً فقـد اسـتحققت أن تخلـع لضعفـك وغفلتـك وخبث بطانتـك؛ لأنـه لا ينبغي لنا أن نـترك عـلى رقابنـا مـن يُقتطـع مثل هـذا الأمر دونـه لضعفـه وغفلتـه. وقالوا لـه: إنّك ضربـت رجـالاً مـن أصحـاب النبـيّ صلى الله عليه وآله وغيرهم حـين يعظونـك ويأمرونـك بمراجعة الحـقّ عندمـا يسـتنكرون من أعمالـك؛ فأقد من نفسـك مَن ضربتـه وأنت له ظـالم. فقال: الإمـام يخطـىء ويصيب؛ فلا أُقيـد من نفسي؛ لأني لـو أقدت كلّ من أصبتـه بخطإ آتي على نفـسي؛ قالـوا: إنـك قد أحدثـت أحداثـاً عظاماً فاسـتحققت بها الخلـع؛ فـإذا كلمت فيها أعطيـت التوبـة ثـم عـدت إليهـا وإلى مثلها، ثـم قدمنا عليـك فأعطيتنـا التوبـة والرجوع إلى الحـقّ؛ ولا منـا فيـك محمـد بن مسـلمة، وضمن لنـا ما حدث مـن أمر، فأخفرتـه فتبرّأ منـك، وقـال: لا أدخل في أمـره؛ فرجعنـا أوّل مرة لنقطـع حجّتك، ونبلغ أقـصى الإعذار إليـك؛ نسـتظهر بـالله عزّوجـلّ عليـك؛ فلحقنـا كتاب منـك إلى عاملـك علينا تأمـره فينا بالقتـل والقطـع والصلـب. وزعمـت أنـه كتـب بغـير علمـك وهـو مـع غلامـك وعلى جملـك وبخـطّ كاتبـك وعليـه خاتمك، فقـد وقعت عليـك بذلـك التُّهمة القبيحـة، مع ما بلونـا منـك قبـل ذلك مـن الجـور في الحكـم والأثـرة في القسـم والعقوبة للأمر بالتبسـط مـن النـاس، والإظهـار للتوبـة، ثمّ الرجـوع إلى الخطيئـة، ولقد رجعنـا عنك ومـا كان لنا أن نرجـع حتـى نخلعـك، ونسـتبدل بك من أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وآله من لم يحـدث مثل ممـا جرّبنـا منـك، ولم يقع عليه مـن التُّهمة ما وقـع عليك؛ فـاردد خلافتنا؛ واعتـزل أمرنا، فـإنّ ذلـك أسـلم لنا منك، وأسـلم لـك منا!

فقـال عثـمان: فرغتـم من جميـع ما تريـدون؟! قالـوا: نعـم. قـال: ... أما بعـد، فإنكم لم تعدلـوا في المنطـق، ولم تنصفـوا في القضـاء، أمـا قولكـم تخلـع نفسـك فلا أنـزع قميصاً قمصنيـه الله عزَّوجـلَّ وأكرمنـي بـه، وخصّنـي بـه على غـيري، ولكنـي أتوب وأنـزع ولا

أعـود لـشيء عابه المسـلمون، فـإني والله الفقـير إلى الله الخائف منـه! قالوا: إنَّ هـذا لو كان أول حـدث أحدثتـه ثـم تبـتَ منه ولم تقـم عليه؛ لـكان علينـا أن نقبل منـك وأن ننصرف عنـك، ولكنـه قـد كان منـك من الأحـداث قبل هـذا ما قد علمـت، ولقـد انصرفنا عنك في المـرة الأولى، ومـا نخشـى أن تكتـب فينـا، ولا مـن اعتللت به بـما وجدنـا في كتابك مع غلامـك. وكيـف نقبل توبتـك وقد بلونـا منك أنك لا تعطى من نفسـك التوبـة من ذنب إلاّ عـدت إليـه، فلسـنا منصرفـين حتـى نعزلك ونسـتبدل بـك، فـإنَّ حال مـن معك من قومـك وذوي رحمـك وأهـل الانقطاع إليـك دونك بقتـال، قاتلناهم حتـى نخلص إليك فنقتلـك، أو تلحـق أرواحنـا بـالله! فقـال عثـمان: أما أن أتـبرأ من الإمـارة، فـإن تصلبوني أحـبّ إليَّ مـن أن أتبرأ من أمـر الله عزَّوجلَّ وخلافته، وأما قولكـم تقاتلون من قاتل دوني، فـإني لا آمـر أحـداً بقتالكـم، فمـن قاتـل دوني فإنما قاتل بغـير أمـري، ولعمـري لو كنت أريـد قتالكـم، لقـد كنت كتبـت إلى الأجنـاد، فقادوا الجنـود، وبعثـوا الرجـال، أو لحقت ببعـض أطـرافي بمصر أو عراق؛ فـالله الله في أنفسـكم أبقوا عليهـا إن لم تُبقوا عـليَّ، فإنّكم مجتلبـون بهـذا الأمر إن قتلتموني دمـاً! ثم انصرفوا عنـه وآذنوه بالحرب، وأرسـل إلى محمد بـن مسـلمة فكلمه أن يردهم، فقـال: والله لا أكـذب الله في سـنة مرتين! ...

طلحة وابن عديس !!

يقـول الخـبر عن عبـد الله بن عياش بـن أبي ربيعة، قـال: دخلت على عثـمان، فتحدثت عنـده سـاعة، فقـال: يا ابـن عياش تعـال، فأخـذ بيـدي، فأسـمعني كلام مَـن عـلى بـاب عثـمان، فسـمعنا كلامـاً منهـم مـن يقـول: مـا تنتظـرون بـه؟! ومنهم مـن يقـول: انظروا عسـى أن يراجـع، فبينـا أنا وهـو واقفـان إذ مرَّ طلحة بن عبيـد الله، فوقف فقـال: أين ابن عديـس؟ فقيـل: هاهـو ذا. فجـاءه ابن عديـس فناجاه بشيء، ثـم رجع ابن عديـس، فقال لأصحابـه: لا تتركـوا أحـداً يدخل عـلى هذا الرجـل، ولا يخرج من عنده، فقـال لي عثمان: هـذا مـا أمـر به طلحـة بـن عبيـد الله، ثم قـال عثـمان: اللهـم اكفني طلحـة بن عبيـد الله،

فإنه حمل عليَّ هؤلاء وألبهم، والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحلّ له ... يُضاف إلى ذلك موقف مروان بن الحكم، وقوله: ... والله إني لأعلم أنه ما حرض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة ولا قتله سواه.

وهناك نقولات أخرى، منها:

أنّ أشد الصحابة على عثمان طلحة .. قال عليٌّ عليه السلام لطلحة: أنشدك بالله إلاّ رددت الناس عن عثمان، قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها .. وإن طلحة قد شارك في منع وصول الماء إلى بيت عثمان ..

أقوال مروان العديدة في وقعة الجمل وقد اجتمعا لقتال الإمام عليٍّ عليه السلام، منها: هذا أعان على عثمان فرماه بسهم في ركبته ... رمى مروان طلحة بسهم، ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك .. نظر مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل، فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فرماه بسهم فقتله ...[1]

اكتفي بهذه الإشارة، فلعلها تؤشر على دور طلحة، ومروان أيضاً، كما جاء بالأخبار في قتل الخليفة يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ وبالتالي تبرئة الثوار وزعمائهم خاصة أولئك الذين كانوا من الموالين للإمام عليٍّ عليه السلام، ومنهم عمرو بن الحمق، والذين يأتمرون بأوامره، ولا يخالفونه في منهجه، ودوره عليه السلام كما نصّت عليه أخبار المؤرخين، كان واضحاً فيما حدث، بنصحه للخليفة في إصلاح ما فسد من الأمور، ودرء الفتنة وتداعياتها على الأمّة المسلمة .. حتى نسب للإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال لعثمان: «والله إني لأكثر الناس ذبًا عنك، ولكني كلما جئتُ بشيء أظنّه

١ . تاريخ الطبري ٣ : ٤٤٣ ؛ الفتوح، ابن الأعثم ٢ : ٤٧٨ ؛ تاريخ المدينة، لعمر بن شبة : ١١٦٩ ؛ الكامل في التاريخ ٢ : ٥٣٥ ؛ وغيرها .

لـك رضـا، جاء مـروان بأخرى فسـمعتَ قولـه وتركتَ قـولي».[1]

وهـذا ما كان فإنَّ الخليفة كان شـديد الاسـتماع لمستشـاريه وبطانته، وكـما جاء في قوله: ... إنَّ لـكلّ امـرئ وزراء ونصحـاء، وإنكـم وزرائي ونُصحائي وأهل ثقتـي... كان منهم معاويـة، ومـن بطانته مروان وهنـاك غيرهما ...[2]

وأخيراً قُتل الخليفة!

ولئـن شـارك أولئـك الصالحـون في الثـورة والتأليب على الخليفة، على سـيرته وفسـاد حاشـيته، فهـو أمر ينسـجم مـع مبادئهـم في الأمر بالمعـروف والنهـي عن المنكـر، إلاّ أنهم لم يشـاركوا أو يُبـاشروا قتـل الخليفـة، فقتلـه بـلا شـك لا يرتضيـه الإمـامُ عـليٌّ عليه السلام بـل ويُغضبـه، وهـم لا يمكـن أن يعملوا خـلاف رغبة إمامهـم فيدخلوا دائـرة العصيان، هذا دليـل واضـح، فضـلاً عـن أدلة أُخـرى .. وكل مـا نُقل عن عمـرو بن الحمـق وعن مالك الأشـتر ومحمد بـن أبي بكر، لا يمكن أن يثبت أمـام التحقيق النزيـه، وأنَّ الذي فعل فَعلته في قتـل الخليفـة ذو مـآرب؛ إمـا يريد إفسـاد أهـداف الثـورة والثـوار وإعاقـة مشروعهم، أوخوفـاً مـن أن يضعـف الخليفـة ويقبـل بمطاليبهـم؛ خاصـةً وقد اشـتدَّ الحصـار عليه، وسـقطت حججـه كلهـا، بـل لا أسـتبعد أنَّ هنـاك أيادٍ سـيئة من بطانـة الخليفـة كمروان بـن الحكـم وحتـى معاويـة، أو مـن أصحـاب المصالـح كطلحة بـن عبيد الله عمـدت إلى ذلـك، أو عـلى الأقل امتنعـت عن الدفـاع عنه أو تغافلـت إن لم نقل شـجعت، أو رضيت لغايـات ترجوهـا، ولخلـط الأوراق وزرع الفتنـة والشـقاق في السـاحة، وبتحميـل الثوار مسـؤولية ذلـك، ثـمَّ الانتقام منهم ومـن آخرين، وهو ما تحقـق لهم فعلاً عبر الثـأر لدم أو قميـص عثـمان، حتى صار شـعار وقعتـي الجمل وصفـين، وقد كلّـف ذلك الأمّـة الكثير مـن الأضرار والمخاطـر، والتجـاوز على أئمتهـا المخلصـين وصالحيها ...[3]

---

١ . الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ :٦٢ .

٢ . تاريخ الطبري ٢ : ٦٤٣ سنة ٣٤ .

٣ . انظر المقالة (محمد بن أبي بكر) العدد ٣٨ من هذه المجلة .

ولاؤه:

توجهت أنظار المسلمين في المدينة وغيرها، وفي مقدمتهم الصحابة إلى بيعة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة، فكان عمرو بن الحمق الخُزاعي من المبادرين للبيعة؛ ليسجل ولاءً مطلقاً لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى عدَّ واحداً من حواري الإمام عليه السلام وما أعظمها من منزلة!

فقد نسب إلى الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة، ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب عليه السلام، وصي محمد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخُزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد، وأويس القرني».[1]

وليرسم مواقف عظيمة في نصرته، وهو يخوض معارك شرسة في الجمل ضدَّ الناكثين وفي صفين ضدَّ القاسطين وفي النهروان ضدَّ المارقين، وكان دوره القتالي فيها جميعاً متميزاً؛ يتصف بالبصيرة والصلابة والثبات؛ وكيف لا يكون كذلك؛ وهو القائل في وقعة صفين: «إني والله يا أمير المؤمنين، ما أجبتُك ولا بايعتُك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سلطان يُرفع ذكري به، ولكن أحببتُك لخصال خمس: إنّك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأول من آمن به، وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وأبو الذريّة التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد، فلو أني كلفتُ نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي عليَّ يومي في أمر أُقوِّي به وليَّك، وأُوهن به عدوَّك، ما رأيتُ أني قد أديتُ فيه كلَّ الذي يحقُّ عليَّ من حقّكَ»؟!

فقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «اللهم نوّر قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أنَّ في جندي مائة مثله!

فقال حُجر ـ حُجر بن عدي ـ: إذاً والله يا أمير المؤمنين، صحَّ جندك، وقلَّ فيهم

١. رجال الكشي ١: ٢٥٣: ٩٩؛ الاحتجاج ٢: ٩٠: ١٦٤؛ أنساب الأشراف ٥: ١٢٩.

مـن يغشـك! ثمَّ قـام حُجر فقـال: يا أمـير المؤمنـين، نحن بنـو الحرب وأهلهـا ...[1]

شرطة الخميس :

الشُّرْطـةُ أو الشُّرَطـة، بالسـكون والحركـة: وهـم أولُ كتيبـة تحـضر الحـرب، وتتهيّـأُ للمـوت، وهـم خيـار جنـد السـلطان، أو نخبـة جنـده أو أصحابـه الذيـن يقدمهـم عـلى غيرهـم من جنـده .. وإنما سُـمّوا بذلك لأنهـم أعلموا أنفسـهم بعلاماتٍ يعرفـون بها، أو لأنهـم أعـدوا لذلك ..

الخميـس: الجيـش الجرار؛ سـمي بذلك لأنـه خمس فـرق: المقدمة، والقلـب، والميمنة، والميسرة، والسـاقة. وقيـل: لأنه تخمس فيـه الغنائم ..

وفي التسـمية «شرطـة الخميـس» أقـوال، منهـا: إنـما سـموا «شرطـة الخميـس» لأنهم اشـترطوا عـلى أنفسـهم أن يكونـوا أوفيـاء للإمـام عليه السلام. وفي قـول: إنهـم أصحـاب أمير المؤمنـين عليه السلام الذيـن قال لهـم: تشرّطوا إنما أشـارطكم على الجنة، ولسـت أشـارطكم عـلى ذهـب ولا فضـة. وقيـل: إنـمّا سـمّوا بشرطـة الخميـس؛ لأنهـم يشـترطون عـلى الإمـام عليه السلام، كـما روي عـن الأصبـغ بـن نباتة أنه قـال: ضمِنّا لـه ـ أي لأمـير المؤمنين عليه السلام ـ الذبـح، وضَمِن لنـا الفتح .. فهـي بالتالي قوّة قتاليّة متميزة مستبسـلة؛ تتصف بالشـجاعة والجـرأة والفـداء، وكان عمـرو بن الحمق، ومالك الأشـتر مع سـائر أصحـاب الإمام عليه السلام كعـمار بـن يـاسر، وقيس بن سـعد بن عبـادة، وحجر بـن عدي، وميثـم التـمار، والأصبغ بـن نباتـه وآخرين، قـد انضمّوا في شرطة الخميـس هذه، وقدرت أعدادهم بخمسـة آلاف أو سـتة آلاف مقاتـل تحـت قيـادة الإمام عـليٍّ عليه السلام ...[2]

---

١ . وقعة صفين : ١٠٣ ؛ الاختصاص : ١٤ .

٢ . هـذا مختـصر لتفصيـل في معاجـم اللغـة وبالـذات تـاج العـروس ١٩ : ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ؛ شرح أصـول الـكافي، مـولى محمـد صالـح المازنـدراني ٦ : ٢٨٦ ؛ الفوائـد الرجالية، السـيد مهدي بحـر العلوم ٣ : ٣٦ ؛ رجـال الكـشي : ٥ ـ ٦ ؛ الاختصـاص : ٢ ـ ٥ .

وقعة الجمل :

ما إن مُلئت قلوبُهم حبًّا للدنيا وسلطتها، حتى أعلنوا تمرداً على الإمام عليٍّ عليه السلام، ونكثاً لبيعتهم له..، من أجل ذلك توجّه إلى البصرة كلٌّ من الصحابيّين الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله؛ تُرافقهما أمُّ المؤمنين عائشة زوجُ رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ فلِم تركوا المدينة ومكة، واجتمعوا في حشود كبيرة من الأتباع والجند؟! وقد خرجا، وخرجت معهما طواعيةً من بيتها، الذي أُمرت هي وأُمهات المؤمنين أن يقرن فيه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ..﴾.[1]

أو ليس في عملها هذا ما يُعدُّ مخالفةً صريحةً للآية؛ خاصةً إذا كان بعيداً عن دائرة الطاعة لله تعالى، بل ومما يترتب عليه معصية لولي الأمر الشرعي، ومفاسد خطيرة وجسيمة ونتائج دموية كبرى ...؟!

ولا أدري، وقد نبحتها تلك الكلابُ فعلاً، ولم تنبح غيرها .. كيف لم تُدرك ما يعني ذلك، وهي العالمة النابهة، ولم يغب عنها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «كأني بإحداكن تنبحها كلابُ الحوأب» وفي بعض الروايات ـ كما يقول علاّمة بغداد الآلوسي، وهو يبرّر عملها، وأنها (سارت معهم بقصد الإصلاح وانتظام الأمور وحفظ عدة نفوس من كبار الصحابة..) ـ الغير المعتبرة عند أهل السنة بزيادة «فإياك أن تكوني يا حميراء»؟![2]

ليعلن هذا الثلاثي فتنته، فاستحق ومن تبعه الوصفين معاً؛ فهم الناكثون لبيعتهم، وهم البغاة على إمام عادل يعرفونه حقَّ معرفته، يدور الحقُّ معه حيث دار.. يُقاتلونه وهم له ظالمون ..، وإلاّ فبمَ تُفسَّر توبتُها إن صحّت، وندمُ الآخَرين، وتركهما لميدان القتال بعد أن تسبّبوا فيه ...؟!

علماً بأنّهم إن لم يبغوا الفتنة، وأرادوا السلم الاجتماعي للأُمّة والصلاح لها؛ لأطاعوا

١ . الأحزاب : ٣٣ .

٢ . تفسير روح المعاني ، الآية ٣٣ الأحزاب .

وليَّ الأمـر الـذي بايعـوه، ولآزروه ولنـصروه، ولـكان هـذا يحقـق الأمن، ويدفـع الخطر، ويجمـع ولا يفـرّق، بـدل خذلانه، وإرباك السـاحة، والخـروج عليه حتى اختـاروا البصرة مكانـاً ومقـرًّا لفَعْلَتهم التـي فعلوا، لنقضهم العهد ولبغيهم، وقد توسـط السـاحةَ جملُهم المقـدّسُ بأُمّهـم (... فبعـر جمـل أمّنـا كأنـه المسـك الأذفـر!!) والـذي لم تتركـه أُمُّهـم؛ أو تأمرهـم بإخراجهـا منـه ومن النـزاع والقتال حتـى عُقر؛ وليتهما حـين ندما وذهبـا بعيداً؛ فقتـلا، أخرجـا أُمَّهما مـن الميـدان أيضاً؛ لتُنهـي الفتنـةُ، وتُحقن الدمـاءُ! كـما أخرجاها من بيتهـا من المدينـة فمكة فالبـصرة ...!!

توجّـه الإمـامُ عـليٌّ عليه السلام إليهـم محـاوراً؛ فلعلّهـم يعقلـون ويرجعـون، إلاّ أنـه وبعـد مفاوضـات طويلـة، لم تـأتِ بنتيجـة، جمـع النـاس فخطبهـم خطبـة بليغـة قائـلاً:

«أيّهـا النـاس! إني قـد ناشـدتُ هؤلاء القـوم كيـما يرجعوا ويرتدعـوا، فلـم يفعلوا ولم يسـتجيبوا، وقـد بعثـوا إليَّ أن أبـرز إلى الطعـان، وأثبـت للجـلاد، وقـد كنـتُ ومـا أهدد بالحـروب، ولا أدعـى إليهـا، وقـد أنصـف القـارة مـن راماهـا، ولعمـري لئـن أبرقـوا وأرعـدوا، فقد عرفـوني ورأوني، ألا وإنَّ المـوت لا يفوته المقيم، ولا يعجـزه الهارب، ومن لم يمت يقتـل، وإنَّ أفضل الموت القتـل، والـذي نفـس عـليٍّ بيـده لألـف ضربة بالسـيف أهـون عليَّ مـن موتـة على الفـراش»!

ثـمَّ رفـع يـده إلى السـماء وهو يقـول: «اللهـم! إنَّ طلحـة بن عبيـد الله أعطـاني صفقة بيمينـه طائعاً، ثـم نكث بيعته، اللهم! فعاجلـه ولا تمهله، اللهم! إنَّ الزبـير بن العوام قطع قرابتـي، ونكث عهـدي، وظاهر عدوي، ونصب الحـرب لي، وهو يعلم أنه ظـالم، فاكفنيه كيف شـئت وأني شـئت»! ثـمَّ وثب عليٌّ عليه السلام فعبّـأ أصحابـه، وكان على خيـل ميمنته عمار بـن يـاسر... وعلى خيـل الكمين عمرو بـن الحمـق الخزاعي ...[1]

لقـد عبّـأ الإمـامُ عليه السلام جنـده اسـتعداداً لمعركـة لا منـاص منهـا، فـكان هـذا الصحابي

١ . انظر الفتوح، لابن الأعثم ٢ : ٤٦٨ وهامشها ؛ وغيره من المصادر .

الجليل عمرو بن الحمق على خيل الكمين كما ذكر، وفي قول آخر على رجالة خُزاعة وأفناء اليمن، وراح كلٌّ واحد من هؤلاء القادة في جيش الإمام يتقدم تلو الآخر لميدان القتال، حتى أنَّ عمرو بن الحمق في وقعة الجمل، شكل مع ثلة مؤمنة من أصحاب الإمام عليه السلام من شرطة الخميس سدًّا منيعاً وسيفاً مدافعاً عن الإمام عليه السلام، وهذا ما نجده فيما قاله حنظلة بن ضرار من جيش الناكثين البغاة؛ وقد خرج للمبارزة فقصد قصدة عليٍّ عليه السلام، فإذا دونه السيوف والأسنة، فرجع وهو يقول:

يا ضب يا ضب دعي عليًّا إني أرى من دونه خطيا
يا معشراً يدعونه الوصيا وارم بنا الأشتر أو عديا
وارم بنا ابن الحمق الغويا

ثمَّ تقدم عمرو بن الحمق وهو يقول شعراً، فاقتتل القوم قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، وصار الهودج الذي فيه عائشة كأنه القنفذ مما فيه من النبل والسهام، وجعلت بنو ضبة يأخذون بعر الجمل فيشمونه ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى بعر جمل أمّنا كأنه المسك الأذفر... وإذا برجل من أصحاب الجمل يقال له الأسود البختري، قد خرج وهو يقول شعراً، فحمل عليه عمرو بن الحمق الخزاعي فقتله..

هذا وقد حُكي عنه أنّه كان يُنشد:

هذا عليٌّ قائد نرضى به أخو رسول الله في أصحابه
من عودة النامي ومن نصابه.[1]

ولا أظنُّ ـ وهو ما أخشاه ولا أتمنّاه لأحد! ـ إلاّ وكانت حصيلة هؤلاء الناكثين من جهدهم الضّار، وعظيم الخطر أن ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، بما خلّفه من آلاف القتلى والضحايا فضلاً عما تركه من أرامل

١ . انظر كتاب الفتوح ٢ : ٤٨١ ؛ كتاب الجمل، للشيخ المفيد، تحقيق السيد علي شريفي : ٣٢٠ ؛ وقعة الجمل، محمد بن زكريا البصري (ت ٢٩٨ هـ) تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين ٤٢ـ٤٣.

ويتامى وآلام وفرقة وتشتت وعقائد ضالة ..!

وقعة صفين :

وليس فقط كان هؤلاء الحواريون، قد استبسلوا في صفين، بل كانوا وقد حمي الوطيس لا يعصون إمامهم عليًّا عليه السلام، يأتمرون بأوامره، ولا يخالفونه في شيءٍ مع خطورة الموقف وضخامته وشدّته، وشراسة العدو وتجاوزاته؛ حتى أنَّ بعضهم؛ حجر بن عدي وكان على كندة، وعمرو بن الحمق وكان على خزاعة في وقعة صفين؛ ولشدّة تألمها من مواقف معاوية وأتباعه، ومن عنادهم ومكرهم؛ راحا يُظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما عليٌّ عليه السلام أن كُفَّا عما يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟

قال: بلى .

قالا: فلِمَ منعتنا من شتمهم؟

قال: كرهتُ لكم أن تكونوا لَعَّانين شتامين؛ تشتمون وتبرؤون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر. ولو قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحقَّ منهم من جهله، ويرعوي عن الغيِّ والعدوان منهم من لهج به؛ لكان أحبَّ إليَّ وخيراً لكم .

فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك!

قال عمرو بن الحمق؛ وكما ذكرنا أعلاه: إني والله يا أمير المؤمنين، ما أجبتُك ولا بايعتُك على قرابة بيني وبينك،...[1]

---

١ . كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم : ١٠٣ ؛ بحار الأنوار ٣٢ : ٣٩٩ .

هذا وكان من أشعاره في صفين؛ وهو يخوض غمارها:

تقول عرسي لما أن رأت أرقى ... ماذا يهيجك من أصحاب صفّينا
ألستَ في عُصبة يهدي الإله بهم ... لا يظلمون ولا بغياً يريدونا
فقلت إني على ما كان من سدر ... أخشى عواقب أمر سوف يأتينا
إدالة القوم في أمر يُراد بنا ... فاقني حياء وكفّي ما تقولينا

وذكروا أنَّ عمرو بن العاص لما رأى الشرَّ استقبل، قال له معاوية: ائت ببني أبيك فقاتل بهم، فإنه إن يك عند أحد خير فعندهم.

فأتى جماعة أهل اليمن فقال: أنتم اليوم الناس وغداً لكم الشأن، هذا يوم له ما بعده من الأمر، حملوا معي على هذا الجمع. قالوا: نعم. فحملوا وحمل عمرو وهو يقول:

أكرم بجمع طيب يمان ... جدُّوا تكونوا أولياء عثمان
إني أتاني خبر فأشجان ... أنَّ عليًّا قتل ابن عفان
خليفة الله على تبيان ... ردوا علينا شيخنا كما كان

فرُدَّ على عمرو:

أبت شيوخ مذحج وهمدان ... بأن نردَّ نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً مثل خلق الرحمن

فانبرى عمرو بن الحمق لحملة عمرو هذه ومعه أهل اليمن، قائلاً: دعوني والرجل (يعني عمرو بن العاص)، فإنَّ القوم قومي! فقال ابن بديل دع الجمع يلقى بعضهم بعضاً.

فأبى عليه، وحمل وهو يقول:

بؤساً لجند ضائع يمان ... مستوسقين كاتساق الضّان
تهوى إلى راع لها وسنان ... أقحمها عمرو إلى الهوان
يا ليت كفّي عدمت بناني ... وأنّكم بالشّحر من عمَان
مثل الذي أفناكم أبكاني

ثم طعن في صدره فقتله، وولت الخيل، وزال القوم عن مراكزهم.

أقول: لا أدري صدر من هذا الذي طعنه فقتله، إن كان عمرو بن العاص وهو من قاد هذه الحملة كما هو السياق، فلعله طعنه فقط ولم تقتله الطعنة، فابن العاص لم يقتل في صفين، وإن كان المراد غيره، فلم يتضح ذلك من السياق. ولعلّ في هذه العبارة (ثم طعن في صدره فقتله) اشتباه إن كان يقصد صدر عمرو بن العاص.

وبعد ليلة الهرير أو في ليلتها، وقد رفعت المصاحف، واضطربت المواقف، فانطلقت كلمات وخطب قصيرة من هنا وهناك من الفريقين المتقاتلين، فكان لعمرو بن الحمق كلمته، التي تبيّن أنه على بصيرة من أمره، وأنّه كان واعياً فيما اختار، وأنه كان من الذين يدعون لعدم وقف القتال بل لاستمراره، ولكنه ترك الأمر والقول الأخير للإمام عليٍّ عليه السلام، كما يبدو من ذيل كلمته الرائعة فيما حدث ما بعد رفع المصاحف في وقعة صفين حين قام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما أجبناك (ما اخترناك) ولا نصرناك عصبيةً على الباطل، ولا أجبنا إلاّ الله عزَّوجلَّ، ولا طلبنا إلاّ الحقَّ، ولو دعانا غيرُك إلى ما دعوت إليه؛ لا ستشرى فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحقُّ مقطعَه، وليس لنا معك رأى!

ولكن انتهى الموقف إلى التحكيم، فكان عمرو بن الحمق ممن شهد على وثيقة التحكيم مع جمع من أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام بلغ سبعاً وعشرين، فيما الطبري ذكر عشرة أشخاص من كلِّ فريق، ولم يكن عمرو بن الحمق في العشرة من أصحاب الإمام عليه السلام.[1]

وقعة النهروان: ما إن عاد الإمام عليٌّ عليه السلام بجنده من معركة صفين حتى وقعت

---

١. وقعة صفين ٣٨١، ٣٩٩ـ٤٠٠ وأيضاً ٢٢٨ وهامشها، ٤٨٢؛ تاريخ الطبري ٣: ١٠٤ سنة ٣٧؛ الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي ١: ١٤٤؛ نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية. وكان عثمان إذا نيل منه وعيب، شبه بهذا الرجل المصري لطول لحيته، ولم يكونوا يجدون فيه عيباً غير هذا. انظر اللسان «نعثل».

معركة أخرى بينه وبين أولئك المارقين؛ الخوارج في منطقة النهروان، وكان عمرو بن الحمق الخُزاعي أحد المقاتلين الأشداء فيها ...[1]

وصار الأمر لمعاوية !

وحين صار أمر الخلافة إلى معاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، وبعد أن سأله زياد بن أبيه أن يأذن له في نزول الكوفة فأذن له،... كتب معاوية إلى واليه على الكوفة يومذاك المغيرة بن شعبة أن يأخذ عدداً من أهل الكوفة بحضور صلاة الجماعة:

خذ زياداً، وسليمان بن صرد، وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وابن الكواء، وعمرو بن الحمق، بالصلاة في الجماعة؛ فكانوا يحضرون معه في الصلاة. وإنما ألزمهم ذلك؛ لأنهم كانوا من شيعة علي عليه السلام كما ذكر ذلك ابن الأثير.

والمعروف في الكوفة، والسلطة على علمٍ منه أنَّ كلاً من حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون عليًّا عليه السلام على المنبر، وهي سنّة معاوية التي بلّغ بها ولاته في الأمصار، يقومون فيردون اللعن عليهم، ويتكلمون في ذلك..

أول نميمة !

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾،[2] فمن الأسوء، الذي يفتك بين الناس، ويُفسد قلوبهم، ويُطيح بالمودة بينهم، ويزرع البغضاء، ويوقد العداوات، فيقطع الصلات، ويمزق الساحة، ويشتت الجمع، ويؤذي الناس، حين يُغري السلطان الظالم في الكيد لهم.. هو ذلك الهمّاز النمّام، الوقّاع في الناس، الساعي بينهم بالشرّ..

١ . انظر أُسد الغابة، لابن الأثير، حرف العين ؛ الاستيعاب، لابن حجر، ترجمته في باب عمرو .
٢ . سورة القلم : ١١ .

لقد عرف الوليد بن المغيرة في مكة بشدَّة عدائه لرسول الله ﷺ ولدعوته المباركة، وسخّر صفاته السيئة؛ للوقوف ضدَّ الإسلام، فنزلت فيه آيات عديدة ـ كما في أسباب النزول ـ تبيّن سيّآت أخلاقه، منها أنه ﴿..هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ..﴾ ينتظره تهديد السماء ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ إذلالاً له وتحقيراً .. وكان على شاكلته عُمارة بن عقبة بن أبي معيط الأموي في الكوفة، أو يزيد بن رُويم، الذي مشى بنميمته ضدَّ عمرو بن الحمق، يلقيها بين يدي ابن زياد، وهذا المنهج الخبيث، يقوده المشاؤون بالنميم، هو الذي أفسد الساحة في الكوفة، إضافةً إلى دور المنافقين..

وقع ذلك لما مات المغيرة بن شُعبة، وضمَّ معاوية الكوفة إلى زياد، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة، وكانت أولى مهامه متابعة شيعة عليٍّ عليه السلام .. وإذا بعُمارة بن عقبة بن أبي معيط يأتيه يوماً؛ ليقول له: إنَّ عمرو بن الحمق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب.

فقال له عمرو بن حريث: ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقنه، ولا تدرى ما عاقبته!

فقال زياد: كلاكما لم يصب أنت حيث تكلمني في هذا علانيةً، وعمرو حين يردك عن كلامك، قوما إلى عمرو بن الحمق فقولا له: ما هذه الزرافات، التي تجتمع عندك من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد؟!

ويقال: إنَّ الذي رفع على عمرو بن الحمق وقال له: قد أنغل المصرين؛ يزيد بن رُويم.

فقال عمرو بن الحريث: ما كان قط أقبل على ما ينفعه منه اليوم.

فقال زياد ليزيد بن رُويم: أما أنت فقد أشطت بدمه، وأما عمرو فقد حقن دمه، ولو علمت أن مخَّ ساقه قد سال من بغضي ما هجته حتى يخرج عليَّ![1]

١ . انظر كلاً من الطبري في تاريخه ٣ : ١٧٧ سنة ٤٢ و ٢٠٨ سنة ٥٠ ؛ وابن الأثير في الكامل ٣ : ٤٢٤ سنة ٤٢ .

فهـذه أول نميمـة، كان ابـن الحمـق ضحيتهـا، ثُـمَّ بهـا إلى زياد بـن أبيه ابن سـمية، في بدايـة ولايتـه الكوفـة مـن قبل المشـائين بهـا، ثـمَّ توالت بعدهـا جهـود الذين مـردوا على النفـاق في الكوفـة وهـم كثـر، ضدَّ شـيعة الإمام عـليٍّ عليه السلام، وإن كان زياد هو بنفسـه رسـم منهجـاً قاسـياً لتحقيـق ما يصبـو إليه، وهـو ملاحقة أتبـاع عـليٍّ عليه السلام، وقد اختـاره معاوية لذلـك، وزيـاد ذو المخالـب لم يكـن مترويًّـا أو كارهـاً للدماء والخـوض فيهـا، ولكنه كان ينتظـر الفرصـة التـي ينقـضُّ فيهـا عـلى هـؤلاء القـوم وهـو يعـرف جرأتهـم وصلابتهم وبصيرتهـم... وهـو في هـذه الحالـة إذ وقعت مشـادّةٌ بين أزلامـه من جهة وبـين حجر بن عـدي وأصحابـه مـن جهـة أخـرى أمـام زيـاد، الـذي راح ينظـر إليهـم وهو عـلى المنبر، فغشـوا بالعمـد، فـضرب رجـل مـن الحمـراء يقـال لـه: بكـر بـن عبيـد رأس عمـرو بن الحمق بعمـود فوقـع، وأتاه أبو سـفيان بـن عويمر والعجـلان بن ربيعة وهمـا رجلان من الأزد فحمـلاه، فأتيـا بـه دار رجـل مـن الأزد يقال لـه : عبيد الله بـن مالك فخبّـأه بها فلم يـزل بهـا متوارياً حتـى خـرج منها ..

وعـن توبـة هذا الرجل الـذي ضرب عمرو بن الحمق وندمـه واعترافه بصلاح عمرو، يقـول عبـد الله بـن عـوف بـن الأحمر: لمـا انصرفنـا مـن غـزوة بالجُميرا قبل مقتل مصعب بعـام، فـإذا أنـا بأحمري يسـايرني، ووالله مـا رأيته مـن ذلك اليـوم الذي ضرب فيـه عمرو بـن الحمـق، ومـا كنت أرى لـو رأيتُـه أن أعرفه، فلـما رأيته ظننـتُ أنه هو هـو؛ وذاك حين نظرنـا إلى أبيات الكوفـة، فكرهـت أن أسـأله أنت الضارب عمـرو بـن الحمق فيكابرني.

فقلـت لـه: مـا رأيتُك مـن اليـوم الذي ضربـت فيـه رأس عمـرو بـن الحمق بالعمود في المسـجد إلى يومـى هذا، ولقـد عرفتُـك الآن حـين رأيتُك!

فقـال لي: لا تعـدم بـصرك، ما أثبت نظـرك! كان ذلك أمر الشـيطان، أما إنـه قد بلغني أنـه كان أمـرءًا صالحاً، ولقـد ندمتُ على تلك الضربة، فأسـتغفر الله!

فقلـت لـه: ألا تـرى والله لا أفترق أنـا وأنت حتى أضربك على رأسـك مثـل الضربة،

التـي ضربتها عمرو بـن الحمق أو أمـوت أو تموت!

فناشـدني الله وسـألني الله، فأبيـت عليـه، ودعـوت غلامـاً لي يدعى رشـيداً من سـبي أصبهـان معـه قنـاة لـه صُلبـة، فأخذتها منـه، ثم أحمـل عليه بهـا، فنزل عـن دابتـه، وألحقه حـين اسـتوت قدمـاه بالأرض، فأصفـع بها هامتَـه، فخر لوجهـه، ومضيـت وتركته. فبرأ بعـدُ، فلقيتُـه مرّتـين من الدهـر، كلّ ذلك يقـول: الله بينـي وبينك!

وأقول: الله عزّوجلّ بينك وبين عمرو بن الحمق...![1]

واسـتمرّت الوشـايات لا تنقطـع عـن زيـاد، وكان منها أنَّ حجـرًا وأتباعـه يجتمعون، فيتكلمـون ويدبـرون عليـه وعـلى معاويـة، ويذكـرون مسـاويها، ويحرضـون النـاس،.. فأخذ حجـر بـن عـدي الكندي وثلاثة عـشر رجلاً مـن أصحابه فأشـخصهم إلى معاوية، وكتـب فيهـم أنهـم خالفوا الجماعة في لعـن أبي تـراب، وزروا على الـولاة، فخرجوا بذلك مـن الطاعة ...

أول رأس!

لقـد كان رأس الصحـابي الجليـل عمـرو بـن الحمـق أولَ رأس في الإسـلام طيـف بـه في البلـدان وبينهـا؛ ليحكـي للنـاس وللأجيـال ظلـم الظالمين وطغيانهـم، وجرأتهم على الله تعـالى وتنكيلهـم بعبـاده الصالحـين، ولنعم ما قاله سـيدُ شـهداء أهل الجنّـة وإمامُهم؛ الحسـين بـن عـليٍّ عليهما السلام في كتاب لـه بعثـه إلى معاويـة بن أبي سـفيان:

«... أوَ لسـت قاتل عمرو بـن الحمق صاحـب رسـول الله صلى الله عليه وآله العبـد الصالـح الـذي أبلتـه العبـادة، فنحـل جسـمه وصفـرت لونـه، بعدمـا آمنتـه وأعطيتـه مـن عهـود الله ومواثيقـه، مـا لـو أعطيته طائـراً؛ لنـزل إليك مـن رأس الجبـل، ثم قتلته جرأةً عـلى ربّك، واسـتخفافاً بذلك العهـد»؟!!

وكان معاويـة قـد بعـث إلى عمـرو بـن الحمـق كتاباً، حـين صار أمـر الخلافـة إليه بعد

١ . تاريخ الطبري ٤ : ١٩٢ سنة ٥١ .

صلح الإمام الحسن عليه السلام، أما بعد؛ فإنَّ الله أطفأ النائرة، وأخمد الفتنة، وجعل العاقبة للمتقين، ولست بأبعد أصحابك همةً، ولا أشدهم في سوء الأثر صنعاً، كلهم قد أسهل بطاعتي، وسارع إلى الدخول في أمري، وقد بطؤ بك ما بطؤ، فادخل فيما دخل فيه الناس، يمح عنك سالف ذنوبك، ومحي داثر حسناتك، ولعلي لا أكون لك دون من كان قبلي إن أبقيت واتقيت ووقيت وأحسنت، فاقدم عليَّ آمناً في ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وآله محفوظاً من حسد القلوب وإحن الصدور، وكفى بالله شهيداً!

ولكن عمرو بن الحمق لم يقدم عليه. كان من معاوية إلاّ أن يبعث إليه من يبحث عنه ليقتله. وفعلاً حصل له ما كان يبغيه، وقع هذا بعد أن راح عبيد الله بن زياد، بأمر من معاوية بمتابعة أصحاب حجر بن عدي، وقد كان عمرو من أصحاب حجر، فلما كان من أمر حجر ما كان، طلب زياد رؤساء أصحابه ، فما كان من عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد، وقد كانا متواريين متخفيين في الكوفة ، إلاّ أن انحازا إلى شهرزور من الموصل، أو أن يخرجا حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل ، فأتيا جبلاً فكمنا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق أنَّ رجلين قد كمنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما ـ وهو رجل من همدان يقال له: عبد الله بن أبي بلتعة ـ فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحمق فكان مريضاً، وكان بطنه قد سقى، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة بن شداد، وكان شاباً قوياً ـ فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تقاتل! انج بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم، فأفرجوا له، فخرج تنفر به فرسه، وخرجت الخيل في طلبه ـ وكان رامياً ـ فأخذ لا يلحقه فارس إلاّ رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحمق، فسألوه: من أنت؟

فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرَّ لكم، فسألوه، فأبى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بلتعة إلى عامل الموصل ـ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن

عثمان الثقفي ـ فلما رأى عمرو بن الحمق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره؛ فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأخرج إلى دون الدير الأعلى، فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو الثانية!

وروى المدائني أنه كان من خيار المسلمين وشهد مع النبيِّ صلى الله عليه وآله بدرًا وما بعدها من المشاهد، وكان من ذوي البصائر في صحابة عليٍّ عليه السلام، وكان معاوية أعطاه الأمان، فدخل إليه يومًا فخاطبه بما أحفظه، فأجمع على قتله، فخرج عمرو إلى العراق واستخفى، فأخذت زوجته فحبست في دمشق سبع سنين إلى أن قتل عمرو، وكان يتنقل في البلاد حتى صار إلى ناحية الموصل مستترًا، وألح معاوية في طلبه وكان معه رفيق اسمه زاهر فلسع عمرو في جوف الليل فقال لرفيقه: يا زاهر إنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبرني أنه سيشترك في قتلي الجن والإنس وقد لسعت، وما أشك أن الطلب يظفر بي، فإذا نظرت إليهم تنح عني، فإذا قتلوني وأخذوا رأسي فوارني، وعف أثري، فلما أصبح دخل الطلب عليه الكهف، وضربوا عنقه في موضع المسجد فلما انصرفوا جاء زاهر فواراه، ويقال: إنّ صاحبه دل عليه أيضًا فقتل. وفي خبر آخر: بلغ عبد الرحمن بن أمّ الحكم ـ وكان عامل معاوية على الموصل ـ مكان عمرو بن الحمق الخزاعي، ورفاعة بن شداد، فوجه في طلبهما فخرجا هاربين، وعمرو بن الحمق شديد العلّة، فلما كان في بعض الطريق لدغت عمراً حيّة، فقال: الله أكبر! قال لي رسول الله: «يا عمرو! ليشترك في قتلك الجن والإنس». ثم قال لرفاعة: امض لشأنك؛ فإني مأخوذ ومقتول! ولحقته رسلُ عبد الرحمن بن أمِّ الحكم، فأخذوه وضربت عنقه، ونصب رأسه على رمح، وطيف به، فكان أول رأس طيف به في الإسلام! وعن إكمال الدين،... وكان عمرو بن الحمق من كبار أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله شهد معه أكبر مغازيه، ولما توفي عليٌّ؛ بث معاوية الطلب لوجوه أصحابه ومذكوريهم، فكتب إلى زياد في طلب عمرو ورفاعة بن شداد، وكانا

مـن أهـل البـصرة، فخافـا وخرجـا حتـى صـارا إلى الموصل وهمـا متنكـران، فأمـا عمرو فـكان يقطع الشـوك ويبيعه بهـا ليخفى أمـره، ويأوي إذا جنّـه الليل إلى كهـف تحت الدير الأعـلى فأقـام على ذلك مـدةً، ثم إنه اعتل علة أدته إلى الاستسـقاء، فـكان في كهفه ذلك في زي المسـاكين يخـرج في النهـار يتقمم مـن نبات الصحـراء إلى أن اجتاز بعض قـواد معاوية بالموصـل في أمـر لـه فنـزل هـو وأصحابـه في الدير الأعـلى، فعرف عمـرواً رجـل كان مع القائـد، فقـال: بغية الخليفـة والله، فأخذ القائد عمرواً وهو شـديد العلة، فأمـر به فذبح في يـوم جمعة وقت الصلاة، وأنفذ رأسـه إلى الشـام شـهورًا، وبقـي بدنه في موضع قتلـه أيامًا لا يعرفـه شيء مـن الهـوام ولا الطـير، وتحامـى الناس دفنه خوفًـا من الخليفة حتـى انبرا له رجـل مـن الرهبان فدفنـه في موضع المسـجد الآن فأمـر معاوية بقتـل الراهب!

وتعـددت الأقـوال في تاريـخ وفاتـه: (سـنة٥١، ٥٠، ٦٠، ٥٧) هجريـة. ولـه تسـعون سـنة بـرأس قد حـزَّ، فعن عمـرو بن الحمق قـال: حدثنـي رسـول اللهﷺ: «إنَّ رأسي أول رأس يحـزُّ في الإسـلام وينقـل مـن بلـد إلى بلـد». وهو خـال من الشـيب اسـتجابة لدعاء الرسولﷺ.[1]

زوجته:

آمنـة بنـت الشريـد، التـي مـا إن يذكـر زوجهـا عمرو بـن الحمق حتـى يذكـر لا فقط وفاؤهـا وإخلاصهـا لزوجهـا، بـل صدقهـا لإسـلامها، وولاؤهـا للإمـام عـليٍّ عليه السلام، وشـجاعتها وفصاحتهـا وثقتهـا بنفسـها وبإيمانهـا وحزمهـا وجرأتها على طاغيـة عصرها معاويـة وأزلامـه، ولهـا معـه مواقف مشـهودة، وأقـوال بليغـة وجريئـة، سـجلتها أخبار المؤرخـين، واحتفظـت بهـا سـيرةً عطـرةً، وقـدوةً نافعـةً لـكلِّ نَفْس أبيَّـةٍ، ترفـض الذلَّ والانصيـاع للظالمـين، غـدت ذكـرى طيبـةً لا فقـط للنسـاء بـل لـكلّ رجـل حـرٍّ شريف

١. إكـمال تهذيـب الكـمال رقـم ٤٠٨١؛ الإمامـة والسياسـة، لابن قتيبة، تحقيق علي شـيري، منشـورات الشريف الـرضي ١: ٢٠٣.

عزيـز، ولقد تجلّـت مواقفها، حـين رفضت البراءة مـن ولاية أمير المؤمنين عـليٍّ عليه السلام، حينما طلـب ذلـك منها معاويـة أو أزلامـه..، نجد كلَّ هذا وغـيره بعد أن سُـجنت؛ لتكون أول امرأة تسـجن في الإسـلام انتقاماً من زوجهـا، وإذلالاً لعزّتها، وكأنهم يرجون من سـجنها ورقـة ضغـط عـلى زوجها؛ ليركـع لهـم ويُعطيهم مـا يريـدون، حتى تـرك معاويـة بعمله هـذا سـنّةً سـيئةً لمـن جاء بعـده مـن الطغـاة والظالمـين بـأن يعتقلـوا عوائـل معارضيهم، ويُنزلـوا بهـم الـذلَّ والهـوان والقتل...

لم يتمكـن زيـاد من إلقـاء القبض عـلى ابن الحمـق، فبقي هـذا الصحابي الجليـل بعيداً عـن أنظـاره، وقـد أمـر بالبحـث عنـه؛ ولما عجـز عنـه، ألقـى القبـض وبأمر مـن معاوية عـلى زوجتـه آمنة بنـت الشريد؛ ليرسـلها إلى معاويـة، الذي ألقاها في سـجن من سـجون دمشـق؛ لتكـون أول سـجينة، وليكون معاويـة «أول من حبس النسـاء بجرائـر الرجال»!

وزادت آمنـةُ شـجاعةً وجـرأةً وثباتـاً حينما جاءُوا بـرأس زوجها بعد حـزّه إلى معاوية، الـذي أمر ـ بعد أن يُطاف به في أزقة وشـوارع دمشـق ـ أن يُبعث به إليهـا، وأوصى الحرسيَّ قائـلاً لـه: احفَـظْ مـا تتكلّم بـه آمنة كـي تُؤدّيَـه إليّ، واطرح الـرأسَ في حِجْرهـا! ومن هنا راحـت الأخبـار تحمـل ما جـرى لهذه المـرأة المؤمنـة الصابرة وهـي في قبضة سـلطان ظالم لم يـرعَ حرمـةً لأحـد بعيـد عن دائـرة طاعتـه رجـلاً كان أو امـرأةً، فـكان موقفُهـا عظيماً، وجرأتُهـا عـلى جلاديها وسـجّانيها شـديدةً، وكلماتُها بليغةً مدويـةً؛ ضمّها أكثـرُ من حوار معهـم، فأبلـت فيه بـلاءً حسـناً، وكان ذلك أشـدَّ عليهـم من وقـع السـيوف والرماح..، حـدث هـذا بعد أن فعل الحـرسيُّ ما أمـره معاوية، بأن ألقـى الرأس عليها، وما أن اسـتقر في حجرهـا حتـى كانـت المفاجـأة قاسـية، نظرت إليـه، وقد فارقته سـنوات عديـدة؛ منها سـبع أو سـنتين في سجنها، ارتاعت للرأس سـاعةً، أطرقت برأسـها قليلاً تعالج هواجس نفسـها وعواطفهـا؛ جالـت حول ذكرياتهـا؛ لترمق السـماء بعينيها، وأنَّ مـا أصاب زوجها كان بعـين الله تعـالى، ثـمّ وضَعَـت يدها على رأسـها قائلةً: واحُزنـاه لصِغَـره في دار هَوان،

وضيـق مـن ضيمة سـلطان! ووضعـت كفّها على جبينـه، ثم لثمـت فاه ..

ولهـا هنا أقـوال عديدة ذكرتها أقلام بعـض المؤرخين قالتها لمعاوية ولرسـله ولأعوانه، يمكننـا تلخيصها تحت عنوان:

ألا أبلـغ معاويـة عنـي: نَفَيتُموه عنّي طويـلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسـهلاً بِمَن كنـتُ لـه غيرَ قاليـة، وأنا له اليومَ غـيرُ ناسـية! أو (فأهلاً وسـهلاً من هديّةٍ غـير قاليةٍ ولا مَقليّة!)

إرجـعْ بـه (أي بـرأس ابن الحمـق) ـ أيّها الرسـول ـ إلى معاوية وقل لـه ولا تطوهِ دونه: **أيْتَـمَ اللهُ وُلْـدَك، وأوحَشَ منك أهلَك، ولا غفـر الله لك ذَنْبَك!**

طَلَـب اللهُ بدمـه، وعجّـل الوبيـلَ مـن نِقمه، فقد أتـى أمـراً فَريّا، وقتَـلَ بـارّاً تقيّا! لقد حفـظ الحـرسيُّ كلَّ مـا نطقت به آمنـة وأدّاه لسـيده وولي نعمتـه بأمانة، وذلـك حين رجع إليـه فأخـبره بـما قالت، فـما كان مـن معاوية وقد راعه ما سـمعه، إذ سـمع كلـمات لم تكن تتحملهـا نفسـه، ولم تخطـر عـلى بالـه مـن امـرأة لم يذلهـا السـجن ولم يُضعفها الهـوان، ولم يُخفهـا طول بقائها سـجينةً وحيـدةً بعيدةً عن أهلهـا، وفقدت حبيبها فأثكلـت به، فما كان منـه إلاّ أن أرسـل إليهـا، فأتَتْـه وعنـده نفـرٌ فيهم إيـاس ابن حسـل، وكان في شَـدَقَيه نتوء عـن فيـه لعظـمٍ كان في لسـانه وثقل إذا تكلّـم، فقال لهـا معاوية:

أأنـتِ ـ يـا عـدوّةَ الله ـ صاحبـةُ الـكلام الـذي بَلَغنـي، أو أنـتِ القائلـة مـا قلـتِ؟! نعـم، غـيرَ منازَعـةٍ عنه، وغـيرَ ناكلةٍ عنـه، ولا معتـذرةٍ منه، ولا مُنكـرةٍ لـه، فلَعَمْري لقد اجتهـدتُ في الدعـاء إن نفَـعَ الاجتهـاد، وإنّ الحـقّ لَمِـن وراءِ العبـاد، وما بلغتَ شـيئاً من جزائـك، وإنّ الله بالنقمـة مـن ورائـك! فأعرض عنهـا معاوية، فقـال إياس: اقتُـلْ هذه ـ يـا أميرالمؤمنـين ـ، فـوالله مـا كان زوجها أحـقَّ بالقتل منهـا! فالتفَتَـت إليه آمنة، فلـمّا رأته ناتـئَ الشـدقَين ثقيلَ اللسـان قالت لـه: تبًّا لـك، وَيْلَك بـين لِحْيَيك كجثمان الضفـدع، ثمّ أنـت تدعـوه إلى قتـلي كما قتل زوجي بالأمـس، إن تُريد إلاّ أن تكون جبّـاراً في الأرض وما

تريـد أن تكون مـن المصلحين!

أمـا الآخـر عبـد الله بـن سرح، فلمّا أشـار عـلى معاوية قائـلاً له: يـا أمير المؤمنـين! إنّها منافقة، فألْحِقْهـا بزوجها.

نظـرت إليـه فقالت: يـا من بـين لحيتيه كجثـمان الضفـدع، ألا قلت من أنعمـك خلعاً وأصفـاك كسـاءً؟! إنّـما المـارق المنافـق مَن قـال بغير الصـواب، واتّخـذ العبـاد كالأرباب، فأُنـزل كفـرُه في الكتاب.

قـال لهـا معاويـة: أخرجي من بـلادي. قالـت: أفعل، فوالله مـا هو لي بوطـن ولا أحنُّ فيهـا إلى سـجن، ولقـد طـال بها سـهري واشـتد بها عـبري، وكثـر فيهـا ديني مـن غير ما قـرت بـه عينـي! أو؛ فأومأ معاويـة إلى الحاجـب بإخراجها.

فقالـت: وا عجبـاه مـن ابـن هنـد، يشـير إليَّ ببنانـه، ويمنعنـي نوافذ لسـانه، أمـا والله لأبقرنـه بـكلام عتيـد كنوافـد الحديـد، أو مـا أنـا بآمنـة بنـت الشريد!

وفي قـول: فضحـك معاويـة، ثـمّ قال لهـا: لله دَرُّكِ اخرُجي، ثمّ لا أسـمع بـكِ في شيءٍ مـن الشـام.. وقالـت: وأبي لأخرجـنّ، ثـم لا تسـمع لي في شيء مـن الشـام، فما الشـام لي بحبيـب، ولا أعـرج فيهـا عـلى حميم، وما هـي لي بوطـن، ولا أحـنّ فيها إلى سـكن. ولقد عظـم فيهـا دَينـي، ومـا قـرّت فيهـا عينـي، وما أنـا فيهـا إليـكَ بعائـدة، ولا حيـث كنتُ بحامدة..

فأشـار إليهـا ببَنانه أن اخرجـي، فخرجت وهي تقـول: واعَجَبني لمعاويـة يكفّ عنّي لسـانه، ويُشـير إلى الخـروج ببنانـه، أمـا والله ليعارضنّه عمرٌو بـكلام مؤيَّدٍ سـديد، أوجع مـن نوافـذ الحديـد، أوَ مـا أنـا بابنة الشريـد؟ ثـمّ التفـت معاويـة إلى عبيد بـن أوس فقال لـه: ابعَـثْ لهـا مـا تقطع بـه عنهـا لسـانها، وتقضي به مـا ذكرت مـن دَينهـا، وتخـفّ به إلى بلادهـا. وقـال: اللهـم اكفنـي شرّ لسـانها! فلما أتاها رسـول معاويـة، أو: فلـما أعطيت ما أمـر لهـا بـه، قالت له: يـا عَجَبـي لمعاوية! يقتـل زوجـي ويبعـث إليّ بالجوائز..!

وفي خبر، كان هذا منها: إذ هي قد خرجت؛ تلقاها الأسود الهلالي، وكان رجلاً أسود أصلع أسلع أصعل، فسمعها وهي تقول ما تقول، فقال: لمن تعني هذه؟ ألأمير المؤمنين تعني؟ عليها لعنة الله! فالتفتت إليه، فلما رأته، قالت: خزياً لك وجدعاً، أتلعنني واللعنة بين جنبيك، وما بين قرنيك إلى قدميك، اخسأ يا هامة الصعل، ووجه الجعل، فأذلل بك نصيراً، وافلل بك ظهيراً! فبهت الأسلع ينظر إليها، ثم سأل عنها فأخبر، فأقبل إليها معتذراً خوفاً من لسانها! فقالت: قد قبلت عذرك، وإن تعد أعد، ثم لا أستقيل ولا أراقب فيك! فبلغ ذلك معاوية، فقال: زعمت يا أسلع أنك لا تواقف من يغلبك، أما علمت أنَّ حرارة المتبول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام؟! أفلا تركت كلامها قبل البصبصة منها والاعتذار إليها؟! قال: أي والله يا أمير المؤمنين، لم أكن أرَ شيئاً من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة، جالستها فإذا هي تحمل قلباً شديداً، ولساناً حديداً، وجواباً عتيداً، وهالتني رعباً، وأوسعتني سبًّا! ثمَّ التفت معاوية إلى عبيد بن أوس، فقال: ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها، وتقضي به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها، وقال: اللهم اكفني شرَّ لسانها! فلما أتاها الرسول بما أمر به معاوية، قالت: يا عجبي لمعاوية يقتل زوجي، ويبعث إليّ بالجوائز، فليت أبي كرب سدَّ عني حره صله، خذ من الرضعة ما عليها. فأخذت ذلك.

وفاتها:

وخرجت تريد الجزيرة، فمرّت بحمص فقتلها الطاعون، فبلغ ذلك الأسلع، فأقبل إلى معاوية كالمبشر له. فقال: افرخ روعك يا أمير المؤمنين، قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شرَّ لسانها! قال: وكيف ذلك؟! قال: مرّت بحمص فقتلها الطاعون. أو أنها خرجَت تريد الجزيرة، فمرّت بحمص فقتلها الطاعون. فقال له معاوية: فنفسك فبشر بما أحببت، فإنَّ موتها لم يكن على أحد أروحَ منه عليك، ولعمري ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوباً وبيلاً! فقال الأسلع: ما

أصابني من حرارة لسانها شيءٌ، إلاّ وقد أصابك مثله أو أشدّ منه!![1]

أقول:

وليس ببعيد أنها قُتلت وهي في طريقها من دمشق إلى الكوفة بوسيلة من وسائل معاوية التي اتبعها مع معارضيه! وقد انتقلت آمنةُ في سنة وفاة زوجها إلى بارئها حزينةً مظلومةً شاكيةً بغي الظالمين. فرضوان الله تعالى عليه وعليها، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.[2]

وهناك بالموصل المشهد الجليل المبني على قبر عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، بناه الأمير أبو عبد الله الحسين بن سعيد ابن حمدان سنة سبع وثلاثين ومائة.

وأنشد الخالدي يمدح الأمير أبا عبد الله:

جددت من قبر عمرو مشهدًا ... شهدت له التقى بصلاح غير مجهول
جعلته مسجدًا يُتلى به أبدًا ... ما أنزل الله من وحي وتنزيل
هاذي ملائكة الرحمن موقدة ... فيها قناديلها بين القناديل.

وفي كتاب ابن الأثير: وقبره مشهور بظاهر الموصل يزار، وعليه مشهد كبير، ابتدأ بعمارته أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان ـ ابن عمّ سيف الدولة وناصر الدولة ابني حمدان ـ في شعبان سنة ست وثلاثين ومائة! ويُقال: دفن إلى جانب دير الأعلى، وعن هذا الدير جاء في معجم البلدان أنه بالموصل في أعلاها على جبل مطلٍّ على دجلة.. وإلى جانب هذا الدير مشهد عمرو بن الحمق الخُزاعي. هناك مسجد بنته بنو حمدان

---

١ . الاختصاص، للشيخ المفيد: ١٩؛ الأعلام، للزركلي ١ : ٢٦؛ الموسوعة الحرّة: بلاغات النساء لابن طيفور، كلام آمنة بنت الشريد، عن العباس بن بكار قال.. أُسد الغابة لابن الأثير، والديارات: ١١٤ وأعلام النساء ١ :٤ .

٢ . الشعراء: ٢٢٧ .

يتصل بالقبر، وأنشد له المرزباني في معجمه:

ياعمرو يابن الحمق بن عمرو من معشر شيم الأبوين
ياعمرو يابن الحمق بن عمرو من معشر شُم الأُنوفِ زهر .[1]

ختاماً نختصر فقرات لها علاقة بمقالتنا من كتاب طويل بما فعله معاوية وموجبات لعنه في تاريخ الطبري؛ عنوانه: (ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أمية): (وفي) هذه السنة عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس، وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه يُقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة؛ ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ. فذُكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان...

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمهم إليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً علي بن أبي طالب ينازعه حقَّه بباطله، ويجاهد أنصاره بضُلاله وغواته،...ثم مما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة مثل عمرو بن الحمق وحُجر بن عدي فيمن قتل أمثالهم؛ في أن تكون له العزة والملك والغلبة،... ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية جرأةً على الله... ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير... فلما تمكن مما مكّنه منه... ثمَّ من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله...[2]

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *

١ . إكمال تهذيب الكمال رقم ٤٠٨١؛ أُسد الغابة ٤ : ١٠١؛ منية الأدباء : ١٤٦؛ تاريخ الطبري ١٠ : ٥٩.
٢ . تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ) ٥ : ٦١٩ ـ ٦٢٥ .